أبواب الشيطان

*مجموعة قصصية. أبواب الشيطان
*تأليف: يسري حافظ
*مراجعة لغوية: محمد طلبه
*تصميم صورة الغلاف: رحمة سيد
*تصميم الغلاف: يوسف محمد أحمد
*إخراج داخلي: يوسف محمد أحمد
*رقم الإيداع: ٥٢١٥/ ٢٠٢٣

*الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٩٥٤-٢٤-١

المدير العام: الأستاذ عزيز عثمان

لمراسلة الدار: daralmuntadaa@gmail.com

واتس آب: +20 100 518 6476

فيسبوك: دار المنتدى للنشر والتوزيع

مجموعة قصصية

أبواب الشيطان

يسري حافظ

إهداء من القلب

منذ كنت في الثانية عشر من عمري وأنا أكتب القصص والروايات، وكم أحرزت من ميداليات ذهبية وشهادات تقدير، ولكنني لم أشعر بارتياح، إلا في السنوات العشرين الماضية وزوجتي بجانبي تدفعني دائمًا إلى الأمام، وفي أي وقت عصيب أجدها تهون عليَّ ودائمة التشجيع لي في الإمساك بالقلم حينما يعجز الفكر عن سرد السطور، فكم من الوقت مر وهي تدفعني وتشجعني أن أجمع قصصي ورواياتي في كتيبات، وكانت الأساس في أن أحول بعض أعمالي الكتابية إلى فنية وأحرز نجاحات كثيرة، ولذا أهدي إليها كل نجاحاتي من إبداع فني وأدبي؛ فكل ما وصلت إليه الآن لها الفضل فيه، وإن كانت حياتي على المحك فسعيد بأنني تركت لها ولأولادي بصمة يتذكرونني بها.

يسري حافظ

أبواب الشيطان

مقدمة

أنا المؤلف، قرأت الكثير من الروايات والقصص المختلفة للكثير من الكتاب، وربما كان الاتجاه واحدًا في سرد القصة لما بها من مصطلحات نحوية تكون لبعض القراء معقدة بعض الشيء من جانب تفسيرها.. وهذا ما يعيق القارئ البسيط؛ ولذا أردت أن تكون القراءة لكل المستويات العلمية، فاتجهت إلى البساطة في السرد والكلمات النحوية، حتى أصل بروايتي إليك في أقل وقت ممكن ولا يتغلب عليك الملل أو تقف أمام حوار أو كلمة معقدة لا تستطيع تفسيرها، أتمنى أن تنال رواياتي إعجابكم، ومن هنا نبدأ.

عندما يتملك الشيطان منك تصبح منقادًا إلى مسرح الجريمة والخرافات وعالم الجان والشعوذة، وترى نفسك بلا هُوية، تسير في خطى مميتة للغاية، ترى في نفسك القوة والسيطرة والعظمة وأنت في الأصل هزيل بلا معنى ولا تستطيع فعل شيء، يهيئ لك شيطانك أنك قادر على كل شيء وأنت هراء، دخان أسود مميت وحتمًا سيقضى عليك يومًا ما.

تتهالك من داخلك بدون أن تدرك، يسيطر عليك السحر ونار الشيطان حتى تقضى على أعز الناس لك، لا تفرق من أمك أو أخيك أو أولادك تطيح بهم جميعًا في سبيل تحقيق ما يريده الشيطان منك، وفي النهاية ما يحدث لك أمر حتمي لا جدال فيه وسترى أبشع الصور لحالات ما وسوس لهم الشيطان وكانوا على العهد؟!

المؤلف

***

يجلس الدكتور ممدوح وراء مكتبه، في الخمسينات من العمر يرتدي بدلة ونظارة طبية، شعره خفيف وذو شارب كثيف، يكتب في بعض الأوراق، جانبًا من المكتب يوجد شيزلونج وكرسي هزاز وكرسيان، أمام المكتب منضدة صغيرة وأدوات مكتبية ومكتبة فيها الكثير من الكتب، خلفه شباك وعليه ستارة تغطيه، على المكتب لافتة باسم الدكتور «ممدوح شاهين»، طبيب نفسي، تدخل عليه سكرتيرته وتدعى أحلام، تعدت العشرين، أنيقة جميلة الوجه ترتدي «جيب» و«بادي» و«سابوه»، تبلغ الدكتور ممدوح بأن الأستاذ جلال وصل ويريد الدخول؛ فيأذن لها بأن يدخل، تخرج وتنادي على جلال أن يدخل، يقف ممدوح ويرحب بجلال الذي يجلس أمامه، تغلق أحلام باب الحجرة ويسأل جلال بلهفة:

- «خير يا دكتور، وافقت ولا لأ»

يهدئ ممدوح من روع جلال قائلًا:

- «انت مالك قلقان كده ليه؟ كل شيء هيكون تمام، بس ليها شوية طلبات لازم تتعمل قبل المقابلة، أول حاجة مفيش كلمة تقولها تتغير أو تتعدل أو تتحذف، تاني حاجة هيا اللي هتحدد ميعاد المقابلات وهي الوحيدة اللي تنهي الحوار والمقابلة في أي لحظة بدون اعتراض، الحاجة التالتة والأخيرة عدم مقاطعتها في الكلام بأي طريقة وبأي مؤثرات صوتية؛ يعنى مفيش تليفون أو موسيقى أو أي صوت خارجي، ممنوع، انت فاهمني يا أستاذ جلال؟»

يرد عليه جلال:

- «فاهم طبعًا»

ويفسر له ممدوح طبيعة حالة المريض:

- «غالبًا الشخص اللي بيتعرض لحادث مؤلم في حياته بيكون حساس لدرجة كبيرة، ولو طلبنا منه يسترجع ذكرياته المؤلمة طبعًا مش سهل، لإنه بيشعر بنفس مشاعر الحدث الأصلي وبيحاول دايمًا يحاسب نفسه ويلقي اللوم عليها برغم إنه عارف إن مفيش حاجة

هتتغير، خليك فاكر دايمًا يا أستاذ جلال إن نورا شخصية مش عادية، فقدت كل شيء في حياتها؛ فقدت أعز ما تملك، يمكن مقابلتك ليها تساعدني في علاجها، انت المخرج وأنا الطبيب، ممكن نعمل حاجة مهمة تجيب نتيجة فعالة»

يهز جلال رأسه ويترك الطبيب ويخرج، وفي الليل يجلس جلال في صالة شقته يشاهد التلفاز ولكنه سارح بوجدانه لا ينتبه ناظرًا في الفراغ، لحظات ويدق جرس الباب وينتبه إليه فيتجه ويفتحه، يرى أمامه فتاة تعدت العشرين من العمر، شعرها عارٍ أصفر اللون، ترتدى «جيب» قصيرة فوق الركبة وبلوزة تظهر مفاتن جسدها، تضع مكياجًا مبالغًا فيه وتعلق شنطة يد على كتفها.

ينظر إليها جلال وكأنه لا يعلم عنها شيئًا، تذكره بنفسها وأنها بوسي؛ الفتاة التي تحدثت معه عبر الفيس بوك، فيتذكرها، وقبل أن تدخل يطلب منها أن تشتري له علبة سجائر أجنبية، فتداعبه بدلع قائلةً:

- «وإيه لزمته الدخان. أنا هخليك تدخن من كل حته من غير سجاير»

وبلا مبالاة يرد عليها:

- «روحي بس هاتي السجاير وتعالي، هسيب لك الباب مفتوح»

تغادر ويدخل كما كان جالسًا أمام التلفاز يلتقط آخر سيجارة من علبته الموضوعة على المنضدة أمامه ويشعلها ناظرًا إلى التلفاز، تدخل بوسي وتغلق الباب وراءها، يطلب منها أن تعد له فنجان قهوة، فترمى حقيبة يدها قائلة:

- «انت جايبني عشان أجيبلك السجاير وأعمل لك القهوة، انت مش قلت هتخليني أمثل وتشهرني؟»

يرد عليها بابتسامة ناظرًا إلى جسدها يتفحصها من أسفل إلى أعلى قائلًا:

- «أنا هخليكي نجمة، بس أشوف مؤهلاتك الأول.. ياللا اعمليلي القهوة وهاتيها»

ويقف قاصدًا حجرة نومه، وتذهب بوسي باحثة عن المطبخ لتعد القهوة. تبحث عن الفناجين ومعدات القهوة وتسال نفسها:
- «أما أشوف هيعمل إيه، المحامي يقولي هخلعك من القضية بس عايز كذا وكذا وكذا، والدكتور يقولي عشان تاخدي شريط البرشام لازم تعملي كذا وكذا وكذا، لما أشوف المخرج هيقولي إيه؟، بس هيكون إيه، معروفة طلباتهم كلها واحدة»
تقف أمام البوتاجاز وتضع الكنكة على النار، بينما جلال مستلقٍ على سريره يتحدث في الهاتف المحمول:
- «بص يا حسام، مش عايز أي شغل اليومين دول؛ اللي يسال عني قوله مسافر، المهم ماتعرفش حد مكاني، تتصرف لإني مش مركز خالص ولا عايز أتعامل مع حد، وخلي أحمد يحضر الكاميرا ويكون جاهز في أي وقت، والموضوع اللي انت عارفة ما يطلعش بره؛ انت عارف طبعًا خطورته إزاي، ياللا سلام»
حيث انتهت بوسي من عمل القهوة ودخلت الحمام تغير ملابسها تخلع ما عليها من ملابس وتظل بقميص النوم الداخلي فقط، تتملى في جسدها ناظرة إليه بإعجاب وتحدث نفسها قائلةً:
- «والله يا بت ده انتي هتبقي نجمة النجوم بس هو يقدر الجمال ده، أما أودي له القهوة عشان يتكيف»
وإذ فجأة تلاحظ بوسي أن الدماء تسيل بين قدميها حتى الأرض.
وبضيق:
- «يادي النيلة، هو ده وقته»
ترى الدماء تزداد وتكثر وكأنها شلال غرَّق الأرض بطريقة مخيفة، تندهش وتفزع ويدها تلطخت بالدماء:
- «إيه ده مش معقول!»
تتجه إلى الباب لتخرج ولكن الباب يغلق من تلقاء نفسه، تحاول فتحه بدون جدوى والدماء ملأت أرضية الحمام.. تقع على الأرض وتحاول أن تنهض وقد تحول جسدها كله للَّون الأحمر، تزداد صراخًا ورعبًا مما تراه أمامها، وتبدأ في النداء:

- «الحقوني الحقوني»
ولم يسمعها أحد، تحاول مرة أخرى فتح الباب فيفتح وتخرج، لتجد أمامها حائطَ سد، تتجه يمينًا ويسارًا فتجد حوائط ولا يوجد مخرج إلى الصالة.
تنظر حولها في فزع لتجد أي مخرج؛ فتشاهد حائطًا ويوجد فراغ أسفله، تزحف من تحت الحائط لتجد نفسها في المطبخ.. وتقف سيدة في الثلاثين من عمرها عيناها جاحظتان محمرتان، شعرها منكوش ووجهها محروق؛ شكلها مخيف جدًّا، أسنانها منزوعة من فكها ولحم خديها يتدلى على صدرها، ترتدي قميص نوم أبيض؛ فتاة محروقة.
تنظر إلى بوسي وتبتسم وبيدها فنجان القهوة التي أعدته بوسي لجلال، تتقدم من بوسي فيصيبها الرعب أكثر وأكثر، ثم تتحول المرأة إلى امرأة طبيعية جميلة ويتغير وجهها وكل شيء فيها، فتنظر بوسي باستغراب وتحملق فيها، تتقدم السيدة خطوة بينما تتغير مرة أخرى إلى ما كانت عليه إلى شكل مخيف؛ فتعاود بوسي الصراخ وتنادي على جلال، ولا تجد أمامها إلا الحوائط.
إلى أن يتغير الوضع ويختفي الحائط المؤدي إلى الصالة، فتحاول الفرار إلا إنها تقع في كل مرة من تأثير الدماء التي غرقت جسدها وقدميها، تحاول النهوض والسيدة وراءها بفنجان القهوة تبتسم إليها وتترقبها، تقصد بوسي باب الشقة وتراه موصودًا، تتراجع للوراء، لم تجد مفرًّا إلا شباكًا مفتوحًا، تتقدم منها السيدة بشكل أقرب فتصاب بوسي بهستيريا صراخ وترمي نفسها من أعلى، تصطدم بالأرض ويتهشم رأسها في الشارع، ولا يزال جلال غارقًا في نوم عميق، يفتح باب حجرته وتدخل السيدة وبيدها فنجان القهوة، تغير شكلها إلى الأفضل وبجانبها طفل وطفلة لم تتعدَّ سنهم الست سنوات، ينادون على جلال رافعين يدهم إليه، قائلين:
- «بابا، الحقنا هانموت. ماتسيبناش»
وتعقب على حوارهم السيدة أيضًا:

- «حرام عليك إحنا هنموت، ماسمعتش كلامي ليه وموتني أنا وولادك؟»
ثم تخرج هي والأولاد من الحجرة ويغلق الباب وينهض جلال مفزوعًا وكأنه رأى حلمًا أو كابوسًا مزعجًا، ينهض ويحدث نفسه قائلًا:
- «إيه الكابوس ده، هو أنا لحقت أنام، وبعدين فين البت دي كل ده بتعمل قهوة؟»
يخرج من الحجرة ناظرًا إلى الصالة، فلم يجد أحدًا داخل المطبخ وبعده الحمام، يجد ملابسها معلقة ولم يجدها.. وكل شيء كما هو لا يوجد أي أثر لنقطة دم، يخرج مرة أخرى إلى الصالة، ناظرًا إلى حقيبة يدها. يكمل حواره:
- «البت راحت فين وسابت الشنطة بتاعتها، البت دي مجنونة ولا إيه؟ راحت فين وماخدتش حق السجاير، طب وهدومها مشيت إزاي؟»
يتجه إلى الشباك ناظرًا من خلاله إلى الشارع ولم يجد أية إشارة أو ما يدل على أن هناك حادثًا، ولا توجد جثة بوسي، والشارع هادئ تمامًا من المارة. يرجع إلى الصالة ناظرًا إلى صوة معلقة على الحائط ونفس السيدة التي ظهرت له في الحجرة وأبنائها بجانبها، ينظر إلى المنضدة فيجد فنجان القهوة؛ يمسكه ويحتسي منه شربة، يرن الهاتف المحمول فينتبه إليه.. يدخل حجرة نومة وبيده الفنجان، يلتقط الهاتف ويرد قائلًا:
- «ألو، أهلًا دكتور ممدوح خير، إيه، طيب تمام أوي إمتى الميعاد طيب والعنوان فين؟ آه مصر الجديدة، آه عارف المكان ده، حاضر هكون في الميعاد»
وفي أحد أحياء مصر الجديدة نرى سيارة جلال تقف أمام إحدى العمائر القديمة وينزل منها جلال وحسام مساعده وأحمد المصور، وبيدهم حقيبة المعدات الخاصة بالتصوير وحوامل الكاميرا، متجهين

إلى مدخل العمارة، يرن جرس باب إحدى الشقق فتفتح أحلام سكرتيرة الدكتور ممدوح، يفاجأ جلال قائلًا:
- «مساء الخير، انتي هنا؟ غريبة»
فترد أحلام بابتسامة:
- «اتفضلوا، أنا الدكتور ممدوح باعتني هنا عشان أراعيها وانت عارف الحالة، ويا ريت ماتعرفش إنكم تعرفوني؛ دي تعليمات الدكتور، انتظروا هنا شوية وهبلغها بوصولكم»
تغادر إلى حجرة نورا، ينظر الجميع إلى أرجاء الصالة، لحظات وتأتى أحلام.
- «اتفضلوا تعالوا معايا»
ينهض الجميع متجهين للحجرة، يدخلون، تجلس نورا القرفصاء على سريرها، بيضاء جميلة الوجه تغطي شعرها بطرحة ولكن تظهر خصلات شعرها الأسود، ترتعش يدها وأصابعها، ويبدو أنها حالة عصبية لا تستطيع السيطرة عليها.
الجميع ينظر لها بدهشة ويتملكهم بعض القلق والخوف، ترفع نورا رأسها بعض الشيء، ناظرة بعينيها إلى أحلام.. فتخرج أحلام وتغلق الباب وراءها، ينظر إليها الجميع في توتر، يعد أحمد الكاميرا ويضعها على الحامل ناظرًا إليها بحذر، ويساعده حسام. يبدأ جلال بالحوار مع نورا:
- «أتمنى إني ماكنش أزعجتك»
تهز رأسها وترد:
- «انت جاي هنا بإرادتي يا أستاذ جلال وعارفة انتوا جايين هنا ليه، شوف شغلك. طبعًا انتوا عايزين الحقيقة وكل حاجة مثيرة تنفعكم في شغلكم. وأنا هقولك من البداية: كنا تلت إخوات بنات، لا أب ولا أم ولا أخ يرعانا ويكون سند لينا، ماتوا في وقت كنا محتاجين النصيحة. المشكلة مش إنك تكون يتيم؛ المشكلة إنك تكون عايش وحيد في دنيا كلها بشر...»

وتتذكر حيث كانت بشقتها وعلى سريرها تسمع أغنية على هاتفها، تنظر نورا إلى شاشة الهاتف والتي عليها صورة شاب، وبكل حب واشتياق ورغبة مكبوتة تحدث نفسها:
- «كده يا خالد، إخص عليك، هو أنا مابوحشكش؟ ليه اتغيرت معايا كده ونسيت نورا حبيبتك؟ ده أنا بحلم باليوم اللي يجمعنا مع بعض في بيت واحد»
تدخل ندى عليها وكأنها ترد على نورا:
- «وإحنا بقى مش هنتعشى عشان خالد بتاعك ده؟»
ترمي لها نورا قبلة على الهواء بيدها، وبابتسامة ترد عليها ندى:
- «الدور عليكي تعمليلنا العشا»
ترفع نورا صوت الأغنية عبر الهاتف وترقص، وترقص ندى معها..
تدخل عليهم هدى الأخت الكبرى ناظرة إليهم بابتسام:
- «ربنا يسعدكم»
وبأحد الملاهي الليلية الراقصة حنان على المسرح وبجانبها خالد يغني، وهو ما كانت تتمعن في صورته نورا عبر شاشة الهاتف وتأمل بأن يكون شريك حياتها وحبها الأول والأخير، وعلى أنغام الرقص يغني خالد لحنان وأمامه عدد كبير من رواد الملهى، تبلغ حنان من العمر الثلاثين، جميلة الوجه، جسدها فاره ممشوق، تنتهي الأغنية والرقص وتعود حنان لحجرتها ويرافقها خالد، تجلس وتضع قدمًا على قدم، تظهر مفاتن جسدها ولا زالت بملابس الرقص.. يشعل لها خالد سيجارة ويضعها في فمها، وبابتسامات متبادلة أثناء حوارهما يبدأ الحوار خالد:
- «أنا عندي ليكي مفاجأة هايلة، خبر بمليون جنيه»
تبتسم إليه قائلةً:
- «خلي الخبر ليك وهات المليون جنيه يا روح قلبي»
يرد عليها:
- «حتى لو قلتلك إن بابا وماما سافروا وسابولي الشقة والعربية ومش راجعين هنا تاني؟ بابا طلع معاش وكان مقرر إنه لما يطلع

معاش يسيب هنا ويقضي باقي حياته في البلد، وكمان خد مكافأة جامدة من شغله، يعني الشقة هتجوز فيها والعربية بتاعتي وكل حاجة»
تغمز له بطرف عينها:
- «حلاوتك، شقة وعربية وفلوس وأنا برا الموضوع ده ولا إيه؟»
يرد عليها بحب ويقترب منها واضعًا يده على قدميها:
- «انتي، يا حبيبتي ماهو كل حاجة ليكي؛ هو أنا اقدر أعيش من غيرك؟ أنا هروح أشتري كباب وكفتة وحاجات لزوم السهرة لغاية ما تغيري هدومك وتحصليني على العربية، مش هتأخر»
يخرج من الحجرة ويغلق الباب وراءه، تلتقط هاتفها وتتحدث قائلةً:
- «حبيبي، معلش أنا آسفة أوي.. ماما كلمتني وتعبانة أوي ولازم أروحلها، خلي ميعادنا يوم تاني، آه هطمنك طبعًا، مع السلامة يا حبيبي»
وتغلق الهاتف وتحدث نفسها:
- «أما أشوف آخرتها معاك يا سي خالد، ضيعت سبوبة النهارده، بس معاك سبوبة أكتر بكتير»
تدق الثانية صباحًا في الساعة الموضوعة على حائط حجرة نورا، وبقلق تنظر من الشباك لترى سيارة خالد قادمة وتقف أمام المنزل، تنزل منها الراقصة حنان ويتبعها خالد؛ فتداري نفسها وترجع برأسها إلى الخلف حتى لا يراها خالد الذي ينظر إلى أعلى ليرى إن كان أحد يراه أو لا، يدخل الاثنان إلى المنزل، وتسرع نورا إلى باب الشقة وتفتحه ببطء حتى لا يشعر أحد، وتتقدم خطوات إلى السلم وتنظر إلى خالد وحنان وهما يصعدان حتى يصلا إلى شقة خالد أسفل شقة نورا ويدخلا، وبضيق وحزن تدخل شقتها وتغلق بابها، في المقابل تراها هدى، وترتمي نورا في حِضنها وتنهمر باكية، تفصح لها عمَّا رأته قائلةً:
- «شفتي يا أختي جايب واحدة معاه في الشقة»
تحن عليها هدى:

- «حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا خالد، هي حصلت لكده، كمان في البيت تجيب لنا بتوع الكباريهات؟ طب والله لأتصل بأبوه وأمه وأقولهم...»
تقاطعها نورا:
- «لا اوعي تعملي كده عشان خاطري يمكن يكون مظلوم»
بغيظ تنظر إليها هدى:
- «انتي يا بت عبيطة هاتجننيني، جايب واحده معاه في نص الليل في شقته، هيعلمها رقصة جديدة ولا هتلحن له أغنية؟ ما انتي عارفة هيعملوا إيه، تحبي أنزل أفضحهملك في العمارة وألم الناس عليهم؟ الواطي بتاع الرقاصات، فوقي بقى لنفسك، خالد اتغير مابقاش خالد بتاع زمان اللي اتربينا معاه في مكان واحد، ده كان بيتكسف لما يلاقي واحدة مننا نازلة على السلم وبيحط وشه في الأرض.. راجعي نفسك يا نورا، وصلي استخارة وربنا يهديكي للصالح»
تدخل نورا حجرتها وتتقدم من الشباك، تنظر للسماء داعية أن تستريح ويرجع لها خالد ويفيق إلى صوابه وأنها لا تستطيع العيش بدونه.
ومن الماضي المؤلم ترجع نورا بذكرياتها إلى جلال المخرج مرة أخرى، تحاول جمع قواها وأن تستمر في سرد الماضي فلم تستطع، قائلةً:
- «خلاص كفاية كده، نكمل بكرة في نفس الميعاد»
يقف جلال مستأذنًا ويجمع أحمد وحسام معداتهم دون حوار كما اتفق جلال مع الدكتور ممدوح من قبل ألا يجادلوا أو يتحاوروا في أي شيء معها، وأن تكون لها الكلمة الأولى والأخيرة. ولكنها استوقفت جلال قبل مغادرته ونادت عليه:
- «أستاذ جلال قبل ما تمشي أحب أسألك سؤال مهم، عندكم اللقطة ممكن تتعاد أكتر من مرة، بس في الحقيقة مش ممكن المشهد يتعاد تاني أبدًا صح؟»
يرد عليها جلال مستغربًا:

- «مش فاهم قصدك!»
تنظر إليه وكأن في خاطرها شيء جعلها ترجع لمؤثرات الماضي قائلةً:
- «بكرة. بكرة تفهم كل حاجة وتعرف أنا قصدي إيه، اتفضل مستنياك بكرة، مع السلامة»
يغادر الجميع ناظرين إلى نورا باستغراب ويغلقون الباب وراءهم، تنخفض الإضاءة في حجرة نورا ويتغير شكلها العام ويصبح مخيفًا، تذرف الدماء من فمها وأذنيها وعينيها ويتغير لون وجهها إلى الأسود، ترتمي على السرير وتتمزق ملابسها وكان أحدًا يريد اغتصابها، وبلا مقاومة منها تترك الأمر ناظرة إلى سقف الحجرة مستسلمةً تمامًا وتقل الإضاءة تدريجيًّا لتصبح ظلامًا تامًا.
وفي ذات الوقت نرى حسام وأحمد يسيران في أحد الشوارع يتحدثون عن مقابلتهم لنورا وما حدث باندهاش، وأن ما شاهدوه وكأنه فيلم مرعب، ويؤكدون أنها بحالة غير طبيعية وليست مريضة نفسيًّا ولكن مؤكدًا بداخلها جان، وحديثها إلى جلال يؤكد معرفتها به جيدًا رغم أنه ولأول مرة يقابلها، وربما أن ما بداخلها يفصح عن بواطن الأمور وأسرارها. وفي النهاية تركوا الأمر، وفي القادمة ستظهر حقائق خفية. يسير جلال بسيارته في شوارع المدينة ويتذكر أصوات لأحداث كثيرة مضت وبصوت نورا في رأسه:
- «عندكم اللقطة ممكن تتعاد أكتر من مرة، بس في الحقيقة مش ممكن المشهد يتعاد تاني أبدًا صح؟»
وينتقل من صوت إلى صوت آخر لإيمان زوجته والتي كانت في الصورة المعلقة على حائط منزلة، تظهر في خياله وبقلق وحدة تقول:
- «الحاجة دي مش ممكن تقعد في البيت هنا أبدًا، يا أنا يا هيا»
ورجع إلى صوت الطبيب ممدوح:
- «نورا شخصية مش عادية، فقدت كل شيء في حياتها وأعز ما تملك»

ويرجع برشده إلى حالته فيلتقط هاتفه ويتصل بأحد.. وفي أحد الكازينوهات يجلس وأمامه الدكتور ممدوح وأمامهم فنجانين من الشاي، حيث قال ممدوح:

- «خير يا أستاذ جلال قلقتني، وخصوصًا إنك لسة جاي من عند نورا»

يحاول جلال أن يستفسر أكثر عن حالة نورا ومعلومات أكثر لما لاحظه عليها، ويؤكد له ممدوح أن للمريض أسرارًا وخبايا من المستحيل الإفصاح عنها لأي أحد، وهي من سمات شرف المهنة. وطالما وافقت نورا أن تحكي فبالتأكيد ستحكي كل شيء ولا داعى للاستعجال في معرفة أمرها، وستروي كل شيء بالتفصيل، ويستطرد قائلًا:

- «ويا سيدي لو قالتلك حاجة مش مفهومة وممكن أفسرهالك هابقى أشرحهالك. ده بس عشان أمدك بمعلومات تفيدك في فيلمك، وأنا واثق بإنه هيبقى فيلم هايل طالما انت مهتم كده. إنما قولي يا أستاذ جلال، هو انتوا لما بتعملوا فيلم عن سيرة ذاتية، حكاية شخص مثلًا، بتعملوه كده بكل التفاصيل؟»

وننتقل إلى نورا حيث تبلغها أحلام أن خالد قد وصل إلى شقته، فتنهض مهرولة إلى هاتفها وتتصل به بفرح وشغف وحب واضح على وجهها، الذي تغير تلقائيًّا من بأس وحزن وألم إلى رغبة وإقدام:

- «ألو، أيوه يا خالد، أيوه يا حبيبي.. أخيرًا رديت عليا، سامحني يا خالد أنا عملت كده عشانك؛ عشان خاطر أرجعك ليا تاني. أنا بحبك، أنا مقدرش أعيش من غيرك، انت ماتعرفش أنا ضحيت بايه عشانك أنا مستعدة أبوس ايدك ورجلك سامعني يا خالد حبيبي أنت سامعني؟»

يرد عليها خالد وهو جالس على كرسيه:

- «نورا اسمعيني كويس، انتي لازم تسيبي البيت ده، محدش بقى يحبك والكل خايف منك، سمعتك بقت وحشة في المنطقة، أيوه انتي، انتي عارفة عملتي إيه مع آدم»

وباستحياء:

- «أنا عملت كده عشانك عشان أرجعك ليا، غرقانة وبتتعلق بأي حاجة. أنا مظلومة يا خالد، أنا اتلعب بيا»
يرد عليها:
- «اللي عملته معاكي كان بمزاجك، وزي ما عملتي معايا عملتي مع غيري، وكنتي سبب في فقدان إخواتك، انتي إنسانة مش كويسة ومش عايزك تتصلي بيا تاني، انتي فاهمة ولا لأ»
ترمي الهاتف بضيق وألم وتستلقي على سريرها تبكي، وتنخفض الإضاءة وترتفع كل محتويات الحجرة إلى أعلى السقف، حتى سريرها يقترب من السقف، وأصوات مفزعة وكلمات مبعثرة غير مفهومة متداخلة. لحظات وتسقط من أعلى وتصبح أبشع تصورًا؛ وجهها أسود وملابسها ممزقة وتتحرك باتجاهات مختلفة، وتصرخ وكأن أحدًا يغتصبها بقوة وعنف، ومقبض الباب يتحرك وكأن أحدًا يحاول فتح الباب من الخارج عليها دون جدوى. تتصل أحلام بالدكتور ممدوح وتبلغه بالأمر وأنها تسمع أصوات صراخ، ونورا لم تستجب للنداء عليها أو تفتح الباب، وما كان من الطبيب إلا أن أمر بأن تتركها أحلام ولا تحاول أن تكرر فتح الباب مرة أخرى، وعليها أن تنتظر حضور جلال في موعد مقابلته مع نورا.
ومر الوقت ورن جرس باب الشقة وفي لحظتها فتح باب حجرة نورا من تلقاء نفسها، استغربت أحلام الأمر وحدثت نفسها وهي بطريقها لفتح الباب:
- «إيه الرعب اللي أنا فيه ده؟ أما أشوف هيخلص إمتى»
ترى جلال وأحمد وحسام، يسألها جلال عن سبب توترها ووجهها الشاحب، فتجيب بأنه إرهاق ليس إلا، وتستأذنه بأنها ستبلغ نورا بحضوره ومن معه. لحظات وتأتي مصاحبةً جلال لحجرة نورا، ومن حجرة نورا ننتقل إلى المقابر حيث وجود سيدة عجوز تعدت السبعين من العمر، وأمامها موقد خشب مشتعل، وجهها لأسفل غير واضح الملامح، تتحدث مع شخص آخر من الرجال غير واضح:
- «ها عملت إيه؟ خلاص ولا لسة؟»

وبصوت الرجل:
- «لسة»
ترد عليه قائلة بصوت جَهْوَرِي:
- «أومال جاي ليه عايز إيه؟»
- «عايز أتطمن؛ قلقان»
- «استنيت كتير في حياتك، استنى شوية كمان ولا عايز ترجع في كلامك، خايف؟»
- «لا مش خايف، وبعدين مش انتي معايا هاتساعديني في كل حاجة؟»
- «خلاص أما توصل لمرادك تعال شوف أنا هعمل معاك إيه، يالا امشي»
والنيران تتصاعد أكثر وأكثر إلى أعلى، ونرجع إلى نورا حيث تجلس على كرسي هزاز وتكمل ما بدأته مع جلال وبنفس وضع جلوسهم مستمعين منصتين باهتمام إلى نورا:
- «أما بيغيب الأب والأم بيسيبوا فراغ كبير أوي، محدش بيملا الفراغ ده ولا يكون بديل مهما كان ومهما عمل، لكن هدى بما إنها كانت بتحاول تكون البديل وده كان شيء صعب جدًّا لإنها نسيت نفسها في زحمة الحياة وانشغلت بيا وبندى، كان كل همها تسعدنا.. وأنا عشان الصغيرة وعندي مشكلة، ده كان مضايقها أوي. كانت شاغلة نفسها بيا»
ترفع رأسها لأعلى قليلًا فيظهر جمال وجهها للحضور، يندهشون جميعًا، لقد خطفت أنظارهم بجمالها ولم يكن يخطر ببالهم أنها بهذا الجمال وهي على هذه الحالة، هذا ما كان يراودهم خلف الأفواه المغلقة والصمت الظاهر وأعينهم التي لم تتحرك ساكنةً عن التمتع برؤيتها، وترجع نورا بالذاكرة والماضي المميت بالنسبة لها وتحكى قائلةً:
- «كانت أختي هدى دايمًا بتحاول هيا وأختي ندى إنها تقف جانبي في مشكلتي وتخليني آكل وأشرب، وكان مجلسهم دايمًا الحديث عني

وعن خالد، مع إن هدى كانت متضايقة جدًّا منه بس ماكانتش عارفة تعمل إيه، وفي يوم من الأيام وندى وهدى مع بعض كانوا بيتكلموا في موضوعي وكانت هدى بتقول لندى:

- «يعنى نقوله تعال اخطبها اتجوزها، اتقدم لأختي؟!»

تفكر لحظة في الأمر ثم تطرأ عليها فكرة سديدة في أمر خالد ونورا، تلتقط هاتفها وتطلب رقمًا، وتدخل ندى على نورا في حجرتها وتطمئنها أن هدى ستصل إلى حل لمشكلتها ويستحيل أن يتركوها هكذا تبكي ليل نهار. وتؤكد لها:

- «كل حاجة هتتحل بإذن الله، اتطمني روح بابا حاضرة برا في الصالة وهتشوفلك حل، وعملت لها كوباية شاي وزمانها جابت من الآخر»

تدخل عليهم هدى بابتسامة:

- «أنا بقى جبت لك اللي هايريحنا من الهم ده ويجيب لنا الزفت ده اللي اسمه خالد راكع على رجيله»

وبابتسامه خفيفة على وجه نورا وبدون تصديق تسأل هدى:

- «معقول عملتي إيه قوليلي»

ترد هدى:

- «اتصلت بشيخ كانوا كاتبين عنه في التليفزيون ليه في المواويل اللي انتي فاهماها؛ جلب الحبيب وحكايات العشق دي، حكيت له حكايتك بالظبط وقالي بسيطة، هيخلصها في يوم واحد ولا اتنين وهايجيبلك وش السعد لحد هنا راكع ويقولك شبيك لبيك»

وبفرحة ترد نورا:

- «يعني انتي متأكدة إنه جاي»

تتقدم هدى وتجلس أمام نورا على سريرها:

- «أنا لما قلت له الظروف والحالة بالظبط قالي أنا مش هاخد فلوس منكم إلا لما يحصل المراد وأختك تتجوز كمان»

وتعقب ندا على حوار هدى:

- «وتفتكري الراجل ده مش نصاب، يعني يكون دجال زي اللي بنسمع عنهم أو يكون ده حرام يعني؟»
تبرر هدى:
- «يعني هو لو حرام أو نصب هيعلنوا عنه في التليفزيون؟ كان أكيد منعوه من العرض أو ماجابوش سيرته خالص، عمومًا هو جاي، استعدي بقى يا نورا، هانت ومشكلتك هتتحل»
تضع هدى يدها على كتف نورا في حب وتضمها إليها.
بينما في الملهى الليلي يجلس خالد أمام صديقه شريف على البار وترقص حنان.. يتبادلان الحوار وبانبساط يحتسي خالد مشروبًا ويتحدث مع شريف مشيرًا إلى حنان بإعجاب:
- «بذمتك شفت جمال زي ده قبل كده؟»
يرد شريف بضيق:
- «أنا مش عارف آخرة ده كله إيه»
ويرد عليه خالد بأنه ينوي الزواج بها مهما حصل، وحتى إن اعترض والده ووالدته فلا يبالي.
ولم ينصغ إلى ما يقوله له شريف عن وضع حنان وعَلاقاتها وإنها لا تصلح أن تكون زوجته، إلا إن تعبيراته ورد فعله يوضح استياءه من حوار شريف ونصيحته له، فيتركه شريف بعد أن رأى أن الجدال معه بلا جدوى تاركًا خالد وجلس بعيدًا، انتهت الراقصة حنان وغادرت لحجرتها، وبدأ خالد احتساء المشروب بشراهة، وجاءت إليه تجلس بجانبه بعد أن بدلت ملابسها وعلى ملامحها الضيق، يلاحظ خالد ويسألها عن السبب؛ فتبرر بأنه نتيجة مرض والدتها وإنها تحتاج إلى مصاريف كبيرة لا تستطيع أن تفي بها؛ فيبادر خالد بأنه سيكون السند والعون لها وألَّا تهتم وتتحمل على عاتقها شيئًا.
تبتسم ابتسامة عريضة وتشكره وتستطرد بأن لديها مفاجأة سارة له وأنها تعرفت منتجًا يرغب في إعداد عملٍ فنيٍّ لها وأنها آثرت أن يكون خالد معها طرفًا أساسيًّا، فوافق.

نظرة سعادة من خالد وارتياح ورضا، ينهضان متجهين خارج المكان إلى منزل خالد، وفي المقابل وأمام مدخل منزله يقابل أحد الرجال، تعدى الأربعينات، يرتدي جلبابًا وتحته بنطال وعلى رأسه شال، يسأل الرجل خالد عن منزل هدى فيجيبه خالد باستغراب عن مكان الشقة ويسأله، عن هُويته فيجيب بأنه الشيخ آدم وجاء بناء على طلب هدى، يدخلان معًا المنزل وتبتسم حنان إلى خالد قائلةً:
- «مش هدى دي أخت حبيبة القلب، في تلات بنات يدخلوا راجل غريب بيتهم ويقولك شيخ؟ ما هو في الأول بيبقى شيخ وبعد كده...»
ولم يجادلها خالد والصمت وعلامات الضيق على وجهه.
وفي شقة نورا نجد الشيخ آدم يجلس وأمامه نورا وحوله هدى وندى يتابعون ما يحدث؛ حيث يبدأ الشيخ آدم بكتابة بعض الطلاسم في ورقة بمداد أحمر ويقرأ بصوت منخفض غير مسموع أو معلوم على الورق، يمسك بيد نورا ويضعها على الورق ويضع يده على يدها ويستمر في القراءة، تشعر نورا برعشة في جسدها ويدها وتتصبب عرقًا، تنظر هدى وندى بتوتر وقلق، يلاحظ آدم ذلك فيأمرهم بمغادرة الحجرة، وأن يتركاه مع نورا، فتفعلان ذلك، حينذاك يوجه حواره إلى نورا قائلًا:
- «ماتخافيش وماتسأليش إيه اللي بيحصل، ده شغلي. بصي أنا عرفت عنك كل حاجة وسرك محفوظ»
ترد عليه بتوتر وقلق عمَّا يقوله فيكرر ويحذر:
- «اوعي تكدبي وانتي في حضرة الأعتاب لا يروح منك خالد نهائي. الغلط اللي غلطتيه أنا هاداويه وهرجعلك حبيبك، وأنا دلوقتي سرك وهسعدك، أومال أنا طلبت من إخواتك يطلعوا برا ليه؟ عشان نتكلم بحريتنا، الحقيقة انتي متبوعة بروح بتحبك وهيا اللي بتبعد عنك خالد حبيبك. الروح دي بتاكل معاكي وبتشرب معاكي، حتى الجنس بتجتمع معاكي.. وبمجرد ما أخلصك منها هيرجع لك خالد، خدي الورقة دي وخليها تحت المخدة وماتبلغيش حد باللي قلتهولك واللي حصل بينًّا»

يغادر آدم وينزل الدرج تقابله حنان أمام شقة خالد وهي بقميص النوم، وتستوقفه تسأله عن رقم هاتفه بحجة أن والدتها مريضة وتحتاج رؤية، فيعطيها بطاقة شخصية بالرقم، يغادر وتدخل الشقة. يعاتبها خالد على خروجها بالملابس الداخلية، وما تسببه من مشكلات إن رآها أحد من السكان، تبسِّط له الأمر وتضع يدها على خديه وتقبله، فيبتسم ويدخلا الحجرة.
بينما تستلقي نورا على السرير وتتبع تعليمات آدم وتضع الورقة التي أعطاها إياها آدم تحت وسادتها وتنام، وتشاهد في منامها حلمًا مفزعًا: شبح ينبهها ويحذرها بأن تترك آدم ولا تتعامل معه وأنه خطر ويتبع الشيطان؛ بل هو الشيطان نفسه. ويعرفها باسمه بأنه «الساهود» حبيبها والذي يرغبها دائمًا، ويظهر آدم مع الساهود ندَّين لبعضهما في مشاجرة كلامية بينهما، يحذر آدم الساهود بالابتعاد عن نورا وأنه سيحرقه إن اقترب منها، وأنه الأقوى، وينبهه الساهود بأنه من بني آدم ولا يستطيع عمل شيء. ويرد آدم بأنه أقوى، وحتى لو كان من بني البشر فإنه تحالف مع الشيطان ويستطيع عمل أي شيء، ويقترب آدم من نورا وقد تغير وجهه إلى وجه خالد ويحتضنها ويقبلها قائلًا:
- «أنا مش هسيبك، أنا بحبك»
وننتقل من حلم نورا إلى حقيقة بوجود حنان مع آدم بأحد الكازينوهات، حيث يبدا آدم بالحوار:
- «بصراحة أنا أول مرة أقابل حد في مكان زي ده»
وتؤكد حنان بأنها هي الأخرى لم تقابل شيخًا من قبل وكل مقابلاتها مع رواد الملاهي والكباريهات، يسألها آدم عن سبب مقابلتها له، وأنه يشك في أن يكون الأمر خاصًا بوالدتها، فتؤكد له تنبآته وأنه على صواب، وأنها أيضًا تعلم هُويته واسمه كاملًا وحقيقة عمله في الآثار والتنقيب، وأن وجوده في شقة نورا لأمر غريب، لم يسالها آدم كيف علمت كل هذه المعلومات عنه، وأراد فقط أن تدخل في الموضوع وماذا تريد منه، وبدون استفسار عن نورا وعن وجوده في منزلها، وأجابت حنان قائلةً:

- «بلحة، بلحة حمراء، زئبق إيه رايك؟»
وباستخفاف يرد عليها:
- «معاكي انتي، انتي؟»
ترفع حاجبيها وتبتسم بثقة:
- «المياه تكدب الغطاس، إيه ماشبهش؟ اعتبره شغل رقاصات وزي ما أنت ليك في كل مكان جن وعفاريت بيعملولك اللي انت عايزة، أنا كمان ليا في كل مكان حبيب ومعرفة، والبلحة دي ليها صاحب، بس اعتبرها بتاعتي»
وبدون تصديق يرد:
- «أكيد مزيفة»
ترد عليه:
- «أصلي مليون المية، وراح بسببها مراته وعياله الاتنين، أجيبهالك والمصلحة بالنص.. اقنعه إنك هتجيبله مراته وعياله أو ممكن يرجعوا.. ماهو يستاهل اللي حصل له عشان يبطل يلعب مع الكبار، تحب تشوفه إمتى؟!»
ولا تزال نورا في جلستها مع المخرج جلال والذي طلب الاستئذان من نورا للمغادرة، وقطع حوارها بتوتر وقلق واضح قائلًا:
- «متهيأ لي إحنا سهرناكي النهارده، ممكن نكمل بكرة مع إن الحكاية مشوقة جدًّا بس للأسف عندي شغل الصبح بدري ولازم أمشي»
تشير إليه بإصبع يدها بأن ينتظر وعينيها جاحظتين، تتحدث له وقد تغير صوتها وأصبح جَهْوَرِيًّا غليظًا يندهش منه الجميع:
- «انت نسيت يا أستاذ جلال شروط المقابلة اللي بينا ولا إيه؟ انت تمشي من هنا لما أنا أقولك امشي، مفيش وقت.. لازم نكمل الحكاية وانت بقى عليك النهاية، واللي معاك دول يتفضلوا برا من هنا، الكلام اللي جاي ماينفعش يسمعوه»
تنظر إلى الباب فيفتح من تلقاء نفسه، الكل يندهش، يلملم أحمد وحسام معداتهم بسرعة خاطفة ويخرجون من الحجرة، بينما يجلس جلال وعلى وجهه الخوف والقلق، وتكمل نورا حكايتها:

- «كنت فاكرة إن آدم طوق النجاة بالنسبة ليا وهيرجعلي اللي راح، ونسيت الدنيا والدين ودخلت الضلمة برجلي»
وعلى صعيد آخر يدخل آدم حجرته شبه المظلمة لمعاشرة الجنية التي يسخرها لنفسه، سيدة ممقوتة وجهها شاحب يضع أمامها طبقًا فيه عظام، يتقدم منها ويحتضنها، ولا زالت نورا تحكي لجلال عن حلمها في الماضي، حلم مزعج، وحلم مفرح جميل؛ حينما رأت خالد يطلب منها الزواج ويقبلها ويحتضنها بحب وشغف، والحلم الآخر بين الساهود الشبح وإحدى الجنيات، والساهود يحدث الجنية «ولهانة»:
- «لما نشوف أنا ولا انت يا آدم»
وترد عليه الجنية ولهانة:
- «ساهود، سيبك من الإنسية دي وبلاش تتحدى آدم، ده معاه «سمرة» وانت عارف سمرة بتحبة قد إيه وهتعمل له كل حاجة هو عايزها. ده ماضي معاها العهد وبقى مخاويها وهتساعده عشان ياخد نورا، وبعدين فرقت معاك إيه نورا؟ نفس الريحة ونفس القذارة، أنا أهو حبيبتك ولهانة من أهلك وعشيرتك ونفس الطعم بتاعك»
ويرد الساهود على ولهانة:
- «آدم مش هياخد مني نورا، أنا بحبها زي ما سمرة بتحب آدم، ابعدي عني، أنا الساهود محدش يقدرعليا»
تنهض نورا من نومها وترد على الهاتف حيث آدم يحدثها:
- «إيه رأيك في الحلمين دول؟ صحيح في حلم فيهم وحش بس الحلم الأول جميل، شفتي حبيبك خالد في الحلم بيحبك قد إيه وعايز يتجوزك؟ شفتي إني صح وعارف كل حاجة، وإن في جان بيحبك وعايزك ليه؟»
تؤكد له نورا أنها على يقين بما يفعله وأنها مطمئنة جدًّا له، وطالما يعرف كل شيء عنها وأسرارها فمؤكد سيستطيع أن يرجِع إليها خالد، وأنها تثق به ثقة عمياء. وأيقن آدم أن نورا أصبحت ملكًا له؛ فطلب منها أن تأتي إلى منزله ليكمل ما بدأه في منزلها، وأنه لضروري حضورها وبدون أن تبلغ أخواتها البنات أنها ستذهب

شقته، وهذا حتى يكمل عمله ولا يفسده إن علم أحد غيرهم بما يفعلونه، وعليها أن تقول فقط إنها في زيارة لأولياء الله بِناءً على طلب آدم، وافقت نورا برضًا تام وأنها ستحضر إليه ومستعدة لكل طلباته وأوامره، ومرت الساعات وذهبت نورا إلى آدم بمنزله.
وداخل حجرته شبه المظلمة يجلسان أمام موقد نار وعليه بخور، وأمامه نورا. يسألها عمَّا طلب منها فتجيب بأنها أحضرت معها قميص النوم الأسود؛ فيأمرها أن ترتديه فورًا أمامه. فتستجيب نورا للأمر وأنها تحت أمره في أي شيء يريده طالما سيرجع إليها بخالد، ويؤكد لها آدم أنها سترجع إلى منزلها، تراه أمامها كما كان ويشبعها حبًّا، وهذا فقط لو نفذت كل ما يريده، بل كل ما يريده الجان بداخله؛ فهو لا يريدها من أجله بل من أجل خدامه الذين طلبوا منه أن يحضر نورا إليهم لمعاشرتها ولو ساعة واحدة فقط، وارتدت نورا قميص نومها أمام آدم، لقد أثارته إلى حدٍ كبير.
وقبل أن يتقدم منها طلب منها طلبًا آخر، وأن الطلب من أجل الجان أيضًا، ويعد آخر طلب، وهو أن تضم أخواتها إليها وأن الجان يريدهن أيضًا، ترددت للحظات وأقنعها بأن ذلك ضروري جدًّا لموضوعها فوافقت، واحتضنها وقبلها، وتصاعدت النيران إلى أعلى، وانتهت مقابلة آدم بنورا وقد التهم منها ما يريده ويطفئ نار جسده المشتعلة، وقد سخَّر نورا فهي لم تتوارَ عن عمل أي شيء في سبيل أن تصل لخالد، ولم تفكر في أي ضرر يصيبها أو يصيب غيرها؛ فأصبحت منقادة بلا تفكير، ذهبت إلى منزلها وأصبحت تمثالًا صامتًا، لم ترُد أو تستجب لحوار أخواتها عن حالتها بعد أن أتت من زيارة الأولياء، واستنتجوا أنه ربما تكون تعليمات من آدم لها بعدم الحديث مع أحد فور حضورها.
نعود إلى آدم وسمرة وحجرتها المظلمة، تسأله:
- «خلاص خدت اللي انت عايزة من نورا، سخرتها لخدمتك؟ سيبها في حالها، كفاية اللي عملته فيا وخليتني مومية لخدمتك»

يرد عليها آدم: انتي اللي طلبتي كده وكنتي عايزة كده، جيتيلي وطلبتي تطلقي من جوزك وأنا أنقذتك، وكل حاجه ليها مقابل، في المقابل عاشرتك معاشرة الأزواج، وحبيتيني، ما انت كنتي عايزة تتطلقي عشان واحد تاني يعني مش فارقة، خاينة، يبقى أنا أفضل؛ على الأقل خلصتك منه واديتك اللي كنتي عايزاه، وموتُّه، المهم خلصتك منه، مش مهم إزاي، أبعده عنك أحرقه أموته المهم خلصتك منه، وكان لازم تكوني معايا، تخدميني في حياتي السفلية، انتي أولى من أي حد غريب، انتي مجرد جسد جواكي اللي بيخدمني»
وننتقل إلى شقة جلال حيث يجتمع آدم وحنان في الصالة، يتقدم منهم جلال، يجلس أمامهم ويسأله آدم عن حكاية الزئبق وكيف وجده؛ فيجيب:
- «كان ليا صديق كان بينقب على الآثار مع بعض الناس، كانوا شركاء في كل حاجة سوا، وفي يوم لقوا تمثال ومشغولات ذهبية وأحجار نادرة وحاجات كتير، من ضمن الحاجات دي مومية في داخلها الزئبق الأحمر. صاحبي حس إن شريكه طمع في كل حاجة وخاف؛ وخصوصًا لما لقاه بيتكلم في التليفون مع حد وبيقوله خلصني منه برصاصة ونقسم سوا، المرة دي ملايين مش هتتعوض، فيها زئبق.. وقال لشريكه هاتلي تمن باقي الحاجات وانا أديك الزئبق، وعشان خايف قالي شيلها عندك عشان أمان ومحدش يعرفك أصلًا، وكان فاكر كده بيأمن نفسه»
ويرد عليه آدم:
- «وطبعًا انت طلعت أسوأ من شريكه وقمت قتلت صاحبك عشان تحتفظ بالزئبق ومحدش هيعرف عنك حاجة، وتبقى ضربت عصفورين بحجر واحد، كمل يا أستاذ»
يكمل جلال:
- «وفي يوم رحت لصاحبي ده وجبت معايا كباب وكفتة وقلت له إني زهقان وجاي أتعشى معاك، وغفلته وحطيت له في الأكل سم، ومات في الحال.. مسحت بصماتي من كل حتة لمستها ومشيت من غير ما

حد يشوفني، بس من ساعة ما دخلت الحتة دي البيت وحال البيت اتشقلب، أنا وولادي ومراتي تصرفاتنا وكلامنا كل حاجة اتغيرت. ومراتي لاحظت وشافت الحتة دي وعرفت إن في حاجة غلط بعملها، وصارحتني إنها سمعت مكالمتي مع صاحبي ده، وإن الموضوع ده غلط وقرأت عنه في الكتب والنت وإنه لعنة ومش هايوصلني لحاجة، بس طمنتها إن الموضوع سهل؛ هو شوية بخور ونبقى أغنياء، حذرتني وطبعًا ماسمعتش كلامها. بس المشكلة في البخور كان غالي جدًّا عشان تحضر بيه، بس قلت لنفسي مش معقول، أكيد الأسعار دي مش صح وأي بخور هينفع، وفعلًا دخلت أوضتي وحبست العيال وأمهم في أوضة تانية عشان أضمن إن محدش يدخل لي خالص، بس يا ريتني ما عملت أو فكرت في كده، ولعت البخور وقعدت أقول الطلاسم اللي عرفتها وأنادي بأسماء الأشباح، لحد ما لقيت الأوضة اتملت وجوه سوداء مخيفة والنار عليت للسقف واتلموا عليا، واغمي عليا. وكنت سامع أصوات ولادي ومراتي وهم بيقولوا: الحقنا يا بابا الحقنا هنموت، بس للأسف ماكنش بإيدي حاجة، ولما فقت لنفسي ودخلت الأوضة بتاعة العيال اللي حبستهم فيها لقيت الأوضة كلها والعة، بس مالقيش العيال ولا أمهم، ومحدش من الشرطة عرفوا راحوا فين ولو اتحرقوا فين جثثهم، واستنتجت إنهم راحوا بفعل الشيطان، والأشباح خدوهم معاهم، بس حنان قالتلي إنك عندك القدرة إنك ترجعهملي تاني»

فيرد عليه آدم:

- «للأسف انت حضرت غلط. كان لازم تجيب البخور المطلوب وإنك تكون قادر زي ما تجيب جان تعرف تتخلص منه، النار نار البخور وصلت لأوضة مراتك وعيالك انتقامًا منك، ولما أغمي عليك فلتّ منهم، بس مش هيسيبوك هييجي اليوم اللي يحرقوك فيه، لإنك حرقت منهم كتير وماصرفتهمش لما أغمي عليك»

يرد جلال بأسى:

- «أنا لا عايز بلحة ولا عايز عنبة؛ أنا عايز عيالي ومراتي وبس»

وفي المقابر حكايات وحقائق، والسيدة العجوز لا زالت تتحدث مع الرجل الخفي، وتسأله:
- «إيه خلاص؟»
- «لا لسة»
- «أومال جاي ليه؟ أنا قلتلك ماتجيش إلا لما يكون خلاص وتنول المراد. عايز إيه؟»
- «بس الموضوع طال أوي»
- «وانت مستعجل ليه وعايز توصل بسرعة؟ انتوا كده يا بني البشر مستعجلين على طول، دايمًا مستعجلين على قدركم»
- «عايز أبقى أحسن من غيري»
- «مش مكفيك اللي انت فيه واللي عندك؟»
- «وليه مابقاش أحسن»
- «بمجهودك اتمنى واستنى المكتوب»
- «طب شوفيلي المكتوب»
- «لا دي حاجة مش ممكن أقدر أعملها، اصبر شوية أنا حاسة إن النهاية قربت وهتنول مرادك.. انصرف انصرف»
يستلقي آدم بحجرة نومه وبجانبه حنان يغطيان أنفسهما بملاءة حتى الصدر، تضع حنان يدها على خد آدم مداعبة له:
- «مش نقوم بقى نغير هدومنا ونستعد؟ زمان جلال جاي في الطريق»
يسألها آدم:
- «انتي تعرفي جلال ده منين؟»
ترد عليه حنان وهي تنهض وترتدي ملابسها:
- «زبون.. زبون بيشترى المتعة وفي يوم من الأيام كنت معاه في شقته زي أي زبون وكان سكران، لقيته بيحكي وهو متدهول في الموضوع ده. جرجرته في الكلام زيادة وعرفت منه حكاية الزئبق دي وأنا عندي فكرة عنها من الأول، وبيني وبينك نفسي أعيش لوحدي من غير رجالة، كفاية كده»

فيرد عليها وهو ينهض لارتداء ملابسه:
- «طيب وخالد مش هتتجوزيه؟»
وهي تمشط شعرها:
- «خالد هو اللي عايز يتجوزني، خالد يا آدم هو البيضة اللي بتبيضلي كل يوم، صحيح مش مشبعاني بس مش مجوعاني»
وننتقل إلى حوار هدى وندى عمَّا يحدث لنورا وندى في استياء شديد لحالة نورا وتطوراتها إلى السوء، وتعاتب هدى وأنها المسئولة بفكرتها وإحضار آدم إليها، وتبرر هدى بأنه كان طوق النجاة وهدفها كان خلاص نورا مما هي فيه، ولم تتوقع أي ضرر لها، وأنها تقرر أن تواجه خالد حتى ينتهي الموضوع وتوقفه عند هذا الحد. وبالفعل ذهبت هدى إلى خالد في مواجهة تسأله عن مدى ارتباطه بنورا ونهاية موضوعهم، وما من خالد إلا برودًا متناهيًا بأن ما بينهم ما هو إلا جيرة فقط ولا توجد أية عَلاقة تربطهما، وما حدث ما هو إلا استلطاف فقط وليست نورا الإنسانة التي يرغب في الزواج بها، وبنظرة غضب تفضح هدى ما وراء الستار وأنها تعلم حقيقة الراقصة حنان ووجودها بشقته وما يفعلونه. وأنها هي الوحيدة التي تصلح له، وأن أختهم أشرف من أن ترتبط به؛ فهو معتاد مرافقة العاهرات والمتسولات، وغادرت بينما لا يبالي خالد بالحوار وعلى وجهه ابتسامه بها تشفٍ.
وعلى نطاق آخر كان آدم وحنان مستعدين لمقابلة جلال وبيده رزمة من المال، يعطيها إلى آدم:
- «أنا جبت لك ١٠٠ ألف جنيه»
يأخذ آدم المال ويرميه على المنضدة بعدم اهتمام قائلًا:
- «بص يا أستاذ جلال اسمع مني، أنا هضحي بتلات أرواح بريئة قربان بدل منك عشان انت تعيش، وكمان تمن البخور انت عارف غالى إزاي، البخور اللي انت تهاونت بيه وكان السبب في موت مراتك وعيالك، ولا انت ناسي؟ يبقى الفلوس دي مش هتنفع ولازم تتصرف»

تكمل حنان الحوار:
- «أنا لو معايا الفلوس دي يا جلال كنت كملتلك، بس للأسف مش معايا»
ينهض جلال قائلًا:
- «خلاص أنا هكملَّك الفلوس بكرة بالليل»
يغادر جلال ويكمل آدم وحنان الحوار:
- «انت ضاغط عليه أوي مع إنك عارف إنه مش معاه الفلوس دي»
ينظر إليها آدم بلؤم:
- «عارف، بس هو كمان لازم يعرف إن الموضوع مش سهل ويتصرف، مش هنشتغل ببلاش، ولازم يعرف إن كلمتنا واحدة ومن هنا ورايح لازم كمان يخاف مننا وإن حياته في إيدي، وساعتها هيعمل كل حاجة عايزينها منه»
تنظر إليه حنان بإعجاب، وترمي إليه قبله على الهواء.
وتستمر الأعمال السفلية ويركع الساهود أمام كبير الأشباح راجيًا:
- «سيدي افعل شيئًا من أجلي. لقد استولى آدم على نورا وحزمها وقيدها وسخرها لخدمته، ووضع فيها بذرة الشر الشيطانية وأنا أرغب فيها وأحبها وأريدك أن تحميها من بطش آدم وقوته، وفي المقابل سأحضر لك الترياق الزئبقي»
فيرد الشبح «ترايون»:
- «من يعشق البشر خاسر، ومن يعاهد الجان من البشر خاسر وكافر ومصيره الهلاك، ولكن لك ما تريد.. اذهب إلى صالح سيخلصك من آدم وتبقى نورا لك»
ويطير الساهود إلى الشيخ صالح بمنزله وهو رجل معالج بالقران، بلغ من العمر الستين عامًا، يقابل الساهود الذي تخفى بصورة شاب اقترب من الثلاثين ويرتدي نظارة شمسية، يدق باب الشيخ فيفتح له ويقابله بترحاب شديد، فيشرح له الساهود قائلًا:
- «أنا كنت عاصي واهتديت، كنت بحب واحدة أوي وكنت شاكك إنها بتحب واحد غيري، رحت لواحد ساحر عشان أنتقم منها

وحصل، وبقت في حالة وحشة أوي مش عارف راكبها إيه، ولما عرفت الحقيقة وإنها مظلومة وكنت غلطان ماعرفتش ألاقي حد يفك عنها السحر ده، أنا عايزك تروحلها وتفك لها السحر بس من غير ما تعرف إنك من طرفي. قولها إنك من طرف آدم وده شخص عزيز عليها، عشان ترضى تخليك تعالجها وتفك سحرها»
يرد عليه الشيخ صالح:
- «طيب يا بني بس سؤال: هو انت ليه لابس نضارة شمس بالليل؟»
يرد الساهود:
- «أصلي من كتر العياط على البنت اللي بحبها وإني كنت ظالم عيني وجعتنى واتاثرت، ومايـنفعش تتعرض للضوء»
يرد عليه صالح:
- «خلاص يا بني اديني عنوان البنت دي وأنا هروحلها طالما انت ساعي في الخير وتبت»
ومن الغدر والحقد والسحر إلى الأمومة والحنان، ووالدة جلال التي تعدت السبعين من العمر حيث تقطن بشقتها ويجلس بجانبها جلال، وهي تعاتبه حيث لم يرها منذ شهور كثيرة:
- «تو ما افتكرت أمك جاي تسأل عنها»
فيرد جلال:
- «معلش يا أمي ما أنا كنت بسأل عنك في التليفون والشغل واخد كل وقتي»
فترد عليه: ومراتك فين وولادك؟ بقالي شهور ماشفتش حد فيهم بعد ما كانوا على طول عندي، دي مراتك بتحبني وأنا كمان بحبها، هم مسافرين ولا إيه؟»
وقد رأى جلال أنها فكرة قد يبرر بها غياب زوجته وأولاده:
- «مسافرين، آه مسافرين البلد وجايين قريب، المهم يا أمي أنا جايلك وعايز منك حاجة مهمة جدًّا»
ترد بحب وحنان:
- «خير يابني عينيا ليك»

وبتردد:
- «كنت عايز.. خمسين ألف جنيه»
باستغراب ودهشة:
- «خمسين ألف جنيه منين يابني؟ هو انت عارف إن معايا خمسين ألف جنيه؟ ما انت عارف عايشة على معاش المرحوم أبوك؛ ده حتى الجيران هم اللي بيصرفولي المعاش، ما انت عارف كل حاجة»
ينظر جلال إلى خاتم بيدها:
- «الخاتم ده يا أمي والغويشتين دول يجيبوا المبلغ ده»
تندهش قائلةً:
- «مش ممكن، ما انت عارف وصية أبوك ماقلعش الخاتم ولا الغوايش إلا لما أموت، ووصية الميت علينا حق، بس أقولك تعالى بيع البيت والشقة أهو يجيبولك أكتر من اللي انت عايزه بكتير، وخدني أقعد معاكم، أنا مش بعمل أي حاجة تضايق حد، وكلها شوية وأتكل على الله، ماهو كله ليك في النهاية، لكن الخاتم بتاع أبوك أبدًا ده أنا روحي متعلقة بيه»
يتركها جلال بعدما رأى أن في الأمر استحالة ولا يصلح أو يفيد الجدال مع والدته، يلتقط هاتفه ويتصل بشخص ما:
- «ألو، أيوه يا جعفر.. بقولك إيه؟ عايزك في سبوبة كده»
وبمنزل جلال في الصالة حيث شخصين مفتولي العضلات، يعطي جعفر لجلال الخاتم الذي كان بإصبع والدته ومعه اثنان من الغوائش، قائلًا:
- «هما دول اللي لقيناهم مع الست العجوزة دي، بس غريبة إنها بقت تقول: الحقني يا جلال، ماكناش عايزين نخنقها بس كانت هتلم علينا الناس، أصل إحنا الناس الكبيرة دي مش بنقرب جانبهم خالص حتى لو معاهم مال قارون؛ آه دول بركة.. بس نعمل إيه بقى»
يكمل الشخص الآخر موجهًا حواره إلى جلال:
- «هيا تقرب لك يا أستاذ؟ هيا أمك ولا إيه؟»
ينظر له جعفر قائلًا:

- «يا راجل معقول أستاذ جلال يعمل كده؟ يموت أمه ليه وعشان إيه هو ابن حرام؟ دي مواويل تانية بقى مالناش فيها، إحنا عملنا اللي علينا وربنا يسامحنا بقى»
ينظر إليهم جلال في صمت وبأسى يخرج من جيبه مبلغًا من المال ويعطيه لجعفر يأخذه وينهض هو ومن معه، يغادرون المكان وفي طريقهم للباب يتحدث جعفر إلى زميله:
- «تصدق ياض يا شكل أنا حاسس برضه إن كلامك صح، انت فيك شيء لله، الست العجوزة دي يظهر إنها أم الواد الجربان ده ابن حرام مصفي»
ومن شقة جلال إلى شقة نورا ووجود الشيخ صالح بحجرتها وبجانبهم ندى وهدى يترقبان ما يفعله الشيخ صالح، بعدما عرف نفسه أنه من طرف آدم، وسمحوا له بالدخول على أمل أن ينهي الأمر، تجلس نورا على سريرها القرفصاء، ترتعش وتهز رأسها وعيناها مبرقتان رافعة رأسها للسقف، يضع صالح يده على جبهتها وتزداد في الحركة وتصدر أصواتًا غير مفهومة، يخرج من طيات ملابسه زجاجة بها ماء ويرشه على نورا، وكلما رش عليها كلما ازدادت سرعةً وعصبيةً وتذمرًا، يقرأ عليها آيات من القرآن وتزداد تعصبًا وحركة بكامل جسدها وكان شيئًا يؤلمها.. يتغير وجهها ويصبح شبحًا وتتحرك كل محتويات الحجرة إلى أعلى السقف وتبتعد هدى وندى جانبًا في خوف مما يروه، ويحاول الشيخ صالح السيطرة على الوضع:
- «اخرج يا عدو الله»
يسمعون جميعًا صوت الساهود:
- «هقتلكم كلكم، هقتلكم»
ويخرج من جسد نورا ثعبان بشع الشكل ولونه أسود يخرج من فمه لسان طويل ويلتف حول ندى وهدى معًا ويعتصرهما، يندهش الشيخ صالح ولا يستطيع المقاومة فيغمى عليه ويقع أرضًا.

ويجتمع الشر في شقة آدم وبجانبه حنان يحضران السحر الأسود أمام البخور ونيرانهم وبعض الأوراق يكتب عليها آدم بمداد أحمر وطلاسم وكتاب يقرأ منه وشموع، ويخرج البلحة الحمراء من طيات ملابسه والتي كانت موضوعة في قطنية ملفوفة بشاشة، ويعزم بكلمات غير مفهومة، يهتز آدم بخوف وكأنه يرى شيئًا مريبًا مخيفًا، يظهر أمامه ترايون الشبح ويحدث آدم:

- «كمل يا آدم، كمل سكتّ ليه، انت فاكر إنك تقدر تعمل كل حاجة لوحدك وتفوق كل حد؟ انت نسيت إن القوي ليه الأقوى منه؟ مال لسانك خرست ليه ومش قادر تتكلم، خلاص انت انتهيت يا آدم»

يحاول آدم السيطرة والحوار ولكن الصمت كان يغلبه، ترى حنان أن البلحة الحمراء تطير في الجو وتنفجر وتشع نارًا تمسك في آدم وتحرقه، فتنهض وتغادر فارةً إلى خارج الحجرة. وفي اليوم التالي تدق حنان باب شقة خالد فيفتح لها فتدخل ينظر لها بضيق:

- «كنت متأكد إنك جاية، خلاص عملتي اللي انت عايزاه وانتهى كل شيء، اوعي تفتكري إني مش عارف حاجة، أنا يمكن ماكنتش عارف الأول بس دلوقتي خلاص، استغربت في الأول لما قالولي إن آدم عايزك في المستشفى بس قلت أشوف الحكاية إيه، رحت له وحكالي على كل حاجة من الأول خالص، وعرفت إنك كنتي معاه زي ما كنتي معايا، وعرفت إن نورا راحت لآدم البيت وعرفت إن المخرج جلال متورط في حاجات كتير أوي وكلكم بتجروا ورا الوهم وناس أبرياء ماتوا بسببكم ودفعوا ثمن طمعكم وهم مالهمش ذنب»

ترد عليه حنان:

- «ماتظلمنيش، أنا كان نفسي أعيش في نضافة لوحدي مش مع كل راجل شوية، أعمل إيه لقيت فرصة وممكن تجيب ملايين جريت وراها زي أي حد، وبعدين بتعاتبني أنا ليه؟ روح قول لحبيبة القلب اللي باعت نفسها ليك ولآدم، على الأقل أنا مالقيتش حد يقولي الصح من الغلط، طلعت لقيت نفسي كده من غير نصيحة، انت بقى الرك عليك يا متعلم يا مطرب يا اللي بتقول كلام يمس القلب. كنت فين لما

ضحكت على البنت، ورميتها وحبيتني، قول لنفسك الكلام ده، كلنا غلطنا وفي الوحل سوا بس كل واحد غلط بطريقته»
يرد عليها بأسى:
- «فعلًا أنا غلطت، ماعرفتش أحافظ عليها وعلى حبها ليا وجريت ورا شهوتي معاكي، المهم انتي جاية دلوقتي ليه؟»
تفتح الباب وتخرج، بينما آدم يرقد بالمستشفى في حالة يرثى لها، ضاعت ملامح وجهه من النيران التي اشتعلت فيه.. يرقد بين الحياة والموت يتمتم في جمع الحروف بصعوبة وبجانبه جلال يسأله:
- «انت دلوقتي ميت ميت؛ قولي فين البلحة، فين الزئبق، وديته فين؟ مفيش وقت»
وبصوت ضعيف يجيب عليه آدم:
- «نورا، نورا»
يتقدم جلال من فمه ليسمعه:
- «مين نورا، مين نورا دي؟»
فيجيب عليه:
- «حنان، حنان عارفة مين نورا ومكانها فين، حنان شريكتي في كل حاجة روح لها»
ويلفظ أنفاسه الأخيرة.
يتركه جلال ويغادر مسرعًا إلى حنان بمنزلها وبعصبية:
- «حنان بصي من غير لف ودوران إحنا في الهوا سوا، دلوقتي آدم مات خلاص، مفيش غيري أنا وانتي ومصلحتنا واحدة؛ قوليلي مين نورا، آدم قبل ما يموت قالي «نورا، وحنان تعرف مكانها» أنا عايز البلحة بس، قوليلي هيا فين البلحة عند نورا دي»
ترد عليه:
- «أنا ماعرفش البلحة فين، آخر مرة كنت هاموت وهو بيحضر الزفتة دي، والنار ولعت فيه، هربت وماعرفش إيه اللي حصل بعدها»
تضحك بسخرية:

- «انت كنت فاكر إنه فعلًا هيجيبلك مراتك وعيالك؟ هو اللي راح ومات بيرجع تاني؟ انت كنت السبب في موت مراتك وعيالك، وجبت بني آدم زيي وزيك عشان يرجع لك عيالك؛ يعني كافر كافر، على الأقل أنا عارفة إيه اللي ممكن يحصل وإيه المستحيل يحصل، لكن انت يا متعلم، عملت كده ليه وسمعت كلام الشيطان؟ ولسة عايز تجري ورا الوهم وتكمل فعل الشيطان، اللي مات...»
يرد عليه بعصبية وغضب:
- «مفيش مفر دلوقتي ولا طريق إلا ده، نورا، مين نورا دي؟ قوليلي تعرفي إيه عنها»
تنظر إليه بمغزى:
- «بس نتفق!»
ويسكن القبور الأموات فقط، والسيدة العجوز تجلس وتتحاور ودائمًا مع الرجل الخفي وأمامها النيران مشتعلة، ترد على الرجل ولا يظهر إلا أقدامه فقط أمام عينيها:
- «قولي بقى النهارده أكيد الأخبار مختلفة صح؟»
الرجل:
- «تقريبًا أنا عرفت البلحة فين»
العجوز:
- «طب خلاص يبقى وصلت»
- «طب خليها تتكلم بسهولة وسيطري عليها وحضري اللي يساعدني»
- «هتلاقي اللي يساعدك بس فكر صح، روح وانت تلاقي نصيبك، روح انصرف»
ولا زالت حنان تكمل حوارها مع جلال وكيفية الوصول إلى نورا، وترشده إلى الدكتور ممدوح وأنه الدكتور النفسي المعالج لنورا ويباشرها، وأنها قادرة على أن تستعير منه المعلومات عن نورا:
- «في ظرف ساعة واحدة معاه في حجرة نومي، ويبقى كده ساعدتك بطريقة طبيعية في الوصول لنورا.. بس انت قوله إنك عايز تعمل

فيلم عن قصتها، وساعتها تتقرب منها وتعرف كل حاجة، وفين راحت البلحة»
وتعود نورا بقصتها إلى جلال الصامت الذي يسمعها بعدما تأكد أن نورا تعلم كل شيء عنها وأنها فضحت أمره من البداية وما كان مقصده وتنتهي حوارها معه:
- «وبكده يبقى وصلنا للنهاية والحكاية خلصت، وكل طامع له جزاء وكل كافر في النار، هسيبك لضميرك وانت طبعًا عارف ضميرك هيوديك فين، افتح الباب واخرج مش هتلاقي حد يفتحلك لأن أحلام ماتت، لأنها متورطة هيا كمان»
وبالمطبخ نرى أحلام تعد الشاي فتلتصق بها نيران البوتاجاز، تصرخ ولا أحد يسمعها.
وفي الساعات الأخيرة من الليل تنتهي حنان من وصلتها الراقصة وتخرج من الكباريه، وإذا بسيارة مسرعة تصدمها وتفترش الطريق غارقة في دمائها وعلى رأسها يقف الساهود يضحك فرِحًا قائلًا:
- «ياللا معانا يا حنان، مكانك مش هنا مع الناس الطيبين انتي معانا تحت الأرض»
وبيأس وضيق شديدين يجلس جلال في هوّ شقته وينطفئ النور ويظهر له أبناؤه وزوجته ووالدته وحنان والفتاة بوسي وآدم بشكل بشع، يتقدمون منه جميعًا فيتراجع إلى شباك الصالة، ويدفعونه جميعا للوراء فيسقط على الأرض بالشارع ويفارق الحياة وسط المارة وبجانبه الساهود، وبالمستشفى يرقد خالد
ووالده بجانبه يسأل الطبيب عن حالته، فيجيب الطبيب:
- «الحقيقة هو جالنا بالحالة دي، كان بيغني وفجأة وقع على الأرض، ماخبيش عليك عنده مشكلة كبيرة في الأحبال الصوتية؛ حالة نادرة أول مرة تمر علينا، ماخبيش عليك مش هيتكلم تاني»
وفي المقابر تنتهي الأحلام والأمنيات والحياة؛ حيث العجوز في حوارها الدائم مع الرجل الخفي تحدثه:
- «مكانك هنا»

فيرد عليها:
- «كل حاجة ضاعت مني؛ كلهم ماتوا وانتي ماوقفتيش جنبي، أومال أنا جيتلك ليه؟»
العجوز:
- «اللي بييجي هنا يا زائر يا ميت، وانت أكيد هتكون ميت»
- «يعني ضحكتي عليا»
- «ماخدتش منك حاجة، انت اللي ضحكت على أحلام السكرتيرة وعاشرتها وعشمتها إنك هتتجوزها عشان تجيبلك أخبار جلال مع نورا، صحيح هيا طمعت بس انت أغويتها، وبعدين انتوا اللي بتيجوا هنا وعايزينا نساعدكم.. اللي عايزة تتطلق من جوزها واللي عايزة تجلب الحبيب واللي عايزة تنتقم من واحد سابها واللي عايز يخاوي جن يحققله أمنياته، إحنا في حالنا وبني الإنس هما اللي بيدوروا علينا.. اللي هيساعدك هو اللي خالقنا كلنا، وانت نسيته، حذرتك قبل كده ونبهتك ترجع عن اللي في دماغك بس ماسمعتش الكلام وصممت تمشي في طريق مسدود كله موت»
- «انتي شيخة والمفروض عارفة كل حاجة...»
تقاطعه العجوز:
- «اسكت، انت لسة أعمى، اوعى تقول كده وتزود كفرك.. مين قالك إن الشيوخ يعرفوا علم الغيب يا كافر يا صديق الشيطان؟»
- «يعني انتهى كل شيء وخسرت كل حاجة؟»
- «انت خسرت كل حاجة من ساعة ما جيت هنا»
- «أومال انتي مين؟»
- «هاهاها، أنا من العشيرة؛ أنا الساهود»
ترفع رأسها ويتغير وجهها إلى وجه شبح الساهود، ويظهر الرجل بوجه الدكتور ممدوح معالج نورا والذي كان يسعى أيضًا إلى الهلاك، يغمس الساهود رأس ممدوح في النيران ويشتعل، والساهود يضحك ويضحك فرِحًا، بينما تظهر سيارة وتقودها سيدة جميلة الوجه تسأل أحد الصبية:

- «لو سمحت يا بني، في شيخة هنا اسمها حسنية؟»
يرد عليها الصبي:
- «أيوه في، امشي كده على طول وشمال في شمال، هتلاقي القرافة بتاعتها»
ترد عليه بابتسامة عريضة:
- «هو كله شمال كده؟»

النهاية

غدر الزمن

مقدمة

تأتي الفرص للنجاح للفرد أحيانًا كثيرة، ومن يمتلك هذه الفرص بعقل حكيم ويضع إرادة وحكمة الله نصب عينه؛ يستفيد حقيقة منها، ويمتاز عن غيره ممن جاءته تلك الفرص للنجاح ولم يستغلها بالشكل الصحيح، ووظفها في الخطأ بدون وعي وإدراك لما يخبئه له الزمن.. وعادة يشجع المال على تعدد الأخطاء، وكما يوجد بالحياة أمان؛ يوجد أيضًا ما يسمى بغدر الزمن!

المؤلف

صباح جديد يشرق على منى كل يوم في بيت خالتها، التي تعيش معها وسط عائلة خالتها وأبنائها؛ فقد أصبحت الست صفية وزوجها إحسان هم عائلتها بعد وفاة أبيها وأمها في حادث تصادم وهم في زيارة أولياء الله الصالحين، وعلى الرغم من أن خالتها هي الوحيدة المتبقية لها في عائلتها، وتحاول أن

تكون القلب الحنون بديلًا لأمها وتعوضها عن غياب أمها وأبيها، كان الأمر صعبًا.. وكارثة لفتاة في سن الصغر تحتاج إلى رعاية وتربية خاصتين، ولم يكن ذلك سهلًا، فضلًا عن أن منى كانت عبئًا على زوج خالتها؛ فبها قد اكتملت الدستة التي كان يعيلها إحسان، فكانت منى ترى في كل مرة ينظر إليها إحسان ينم وجهه عن ضيق وألم، ولكنها لا ترى مخرجًا من نظراته إليها؛ فليس لها أحد آخر يسندها ويأويها غير هذا البيت، فبوفاة والدها ووالدتها لم تفقد رعايتهم لها فقط، بل تشعر أنها فقدت الشغف للاستمرار في الحياة.

كانت صفية تحاول أن تكون لها كل شيء، وتحاول دائما أن يكون إحسان بدلًا من والدها.. ولكن ليس هناك عوض عن الأم والأب مهما كان، فظروف الحياة الصعبة وقلة الحيلة جعلت إحسان غصبًا عنه لا يستطيع أن يداري حالته النفسية وضيقه من الأزمات المعيشية التي يمر بها، وكانت منى كلما رأت ذلك تتخيل أنها سبب فيه، وأن أبناءه أولى برعايته، وأنها ليست فردًا محبوبًا أو مرغوبًا فيه، فلا يستطيع إحسان أن ينطق بكلمة عطف في ظل ما يحيطه من ضغوط الحياة وتربية الأبناء واحتياجاتهم؛ فعمله صباحًا ومساءً لا يفي باحتياجاتهم.

وكل ما تفعله صفية لم يكن بديلًا لينسي منى فراق أمها وأبيها، وبمرور الوقت رزق إحسان بمالٍ من عملٍ إضافيٍّ له جعل حاله يتغير كثيرًا ويرى أن ذلك رزق منى، وبدأ يغير معاملته ويعطيها من حبه وحنانه كأب.

مرت السنين، وكبر الأبناء ولديهم شعور بالغيرة أن منى تأخذ حيزًا أكبر في الرعاية والحب والحنان من حقهم هم، وسيطر عليهم

الإحساس بالغيرة والحقد؛ مما جعلهم يقعون في مشكلات عديدة، وخاصة أن منى كانت تهتم بدراستها جيدًا بخلاف أبناء إحسان، فكان التعليم هو هدفها الأول سعيًا وراء المستقبل الأفضل، فهو السند في حياتها التي ترغب في أن تكون أفضل، وأن حالها لن يستمر، وربما سيأتي يوم ولا بد وأن تعتمد على نفسها.. ولذا امتازت من أبناء خالتها بالتفوق والنجاح المستمرين.

وما كانت مشكلة أبناء إحسان تفوق منى فقط، بل اهتمامهم بها وعاطفتهم عليها قد زادا، فكان التعليق دائمًا من أبناء إحسان:

- «انتوا بتعاملوا منى أحسن مننا، إحنا اللي ولادكم مش هيا»

وكان رد إحسان يجعلهم في ضيق أكثر:

- «هيا تستاهل المعاملة دي؛ بنت شاطرة وناجحة دايمًا في دراستها مش انتوا كل سنة يا ساقط يا ملحق، وأنا هموت نفسي عشانكم، وانتوا ماحصلتوش نص نجاحها ومجهودها، وكمان عايزين اهتمام**!**»

فانتقلت من المشكلة الأساسية وهي عطف إحسان عليها إلى مشكلة أكبر، وهي ضغينة وحقد وغل أبناء خالتها لها، لم يكن لمنى أي اهتمام أو طموحات سوى التعليم، لم يخطر ببالها يومًا أن تصبح مهندسة أو طبيبة، فكانت ترى الظروف المحيطة بها لا تؤهلها إلى ذلك نظرًا لمصاريف التعليم الباهظة لهذه الكليات، ولكنها ترى أبسط الأمور أن تحصل على شهادة عالية تؤهلها لعمل شريف، كان ذلك أساس شلالات دموعها الجارفة من عينيها التي لا ترى سبيلًا للانقطاع، وتذكرها بوالدتها ووالدها.

وفي لحظة من الهدوء وجفاف دموعها سمعت صرخة خالتها أثناء مكالمة تليفونية تفيد بأن إحسان تعرض إلى حادث أليم، فقد وقع على ظهره أنقاض منزل زميله المتهالك الآيل للسقوط وهو في زيارة له؛ أدى ذلك إلى نقله إلى المستشفى لإجراء عملية عاجلة، أقعدته في الفراش غير قادر على الحركة، هذا ما زاد من حالة منى النفسية سوءًا بزيادة الأحمال والأعباء.

فاقترضت صفية من الكثير جيرانًا وأصدقاءً ومعارفَ، وكذا العاملين مع زوجها في العمل لسد مصروفات الجراحة التي جعلت إحسان لا يقوى على العمل مرة أخرى، وأصبح قعيد الفراش بالمنزل.
لم يكن العمل مجبرًا على تحمل مصاريف علاج إحسان إلا بالقدر القليل الذي لا يساوي ويسد علاجه الشهري، وأصبح الحمل كبيرًا جدًّا على صفية التي لم تتخيل يومًا ما يحدث لهم بوجود زوجها ورب الأسرة وراعيها بهذا الحال. ولم تكن يومًا تتخيل أن تعمل؛ فسنها وصحتها لا يسمحون بذلك، فهي أيضًا مريضة بحكم السن.
اضطرت صفية إلى أن تترك أبناءها يعملون في أعمال ومهن مختلفة بالورش والعيادات الخاصة والمحلات، فلا سبيل آخر لسد حاجاتهم ورعاية والدهم.. وتركوا التعليم.
كتم الحزن أنفاس صفية، وأصبحت لا تبالي بمن حولها إلا صحة إحسان عشرة العمر.. فكان أهم ما يؤرقها رقود إحسان في سريره بلا حركة.
زاد الحمل والهم على صفية كلما رأت إحسان يبكي بحسرة على حاله دون حركة، بعدما كان نشطًا يعمل ليل نهار، ورغم الحزن الشديد الذي تعاني منه صفية كانت تهون عليه الحال كثيرًا، وكانت سنده وحركته.. دائمًا تضحك في وجهه وكأن شيئًا لم يكن، وتهون عليه ترك أبنائهم للدراسة واضطرارهم إلى العمل، وأنهم آجلًا أم عاجلًا كانوا سيعملون.
كانت كلماتها مع إحسان وابتسامتها العريضة المرسومة على وجهها تخفي وراءها حزنًا وألمًا كبيرين، تخفي وراءها أكثر مما تفصح، ولكن ما باليد حيلة، هذا هو القدر المحتوم.
وعلى الرغم من كل ما يعانيه إحسان من آلام المرض والمعيشة الصعبة، كان يفكر في منى، وكان رأيه أنها يجب أن تستمر في التعليم؛ فيكفي ما حدث لأبنائه وما سيحدث في المستقبل، وإنه لخَسَارة كبيرة أن تترك التعليم وهي مجتهدة ولها مستقبل مشرق.

رحبت صفية بالقرار ورأي إحسان، ورأت أن منى ستكون عوضًا عن أبنائها وما كانت تتمناه لهم.
رفضت منى هذا القرار، وكانت أول المساهمين إيجابيًّا في إيجاد حلول للمشكلات التي تعرض لها المنزل الذي تعيش فيه بالعمل بعيادة طبيب الصدر، دكتور مدحت؛ فالتغييرات التي تعرض لها إحسان في صحته وعمله بالنسبة لمنى لا يبشر باستمرارية إيجابية.
كيف تستمر في التعليم وأبناء خالتها يعملون ويصرفون عليها من مالهم؟
فقد كانوا يحقدون ويغارون منها لاعتقادهم أنهم أحق منها بحب واهتمام والديهم، فتخيلت للحظة إن استمرت في التعليم ما سيفعلونه معها، وهم حينذاك المسئولين عن رعايتها ودراستها.. هل يقبلون ذلك؟ ماذا سيكون رد الفعل؟ فقد رأت في خيالها كوارث حوارية بينهم وتجريحًا لن ينتهي أبدًا.
وكان مفاده:
- «إشمعنى هيا اللي تتعلم وإحنا نصرف عليها، هي أحسن مننا في إيه؟ يا نشتغل كلنا يا نقعد كلنا، هي تاكل وتشرب وتلبس وإحنا ندوق المر في الشوارع عشان إيه؟ انتوا من زمان وانتوا بتفضلوها علينا، إحنا دلوقتي الأحسن. إحنا كمان عايزين نشوف مستقبلنا، إحنا مش ملزمين نصرف عليها.. هي مابقتش صغيرة»
كلمات صاروخية جارحة تسمعها مباشرة بلا حرج في أذنيها، وما كانت تتوقعه إن وافقت على الاستمرار في التعليم، ولهذا كان قرارها ترك التعليم والبحث عن عمل أفضل وأكرم لها، وأن تسد جزءًا من كرم وحب وحنان خالتها وزوج خالتها، وتريح أعصابها من أي رد فعل من أبناء خالتها، وألا تكون حملًا على أحد.. فيكفيها ما حدث، فهي تعرف تمام المعرفة أنهم لا يحبونها ويعتقدون أنها شؤم عليهم، وما حدث لوالدهم كانت سببًا فيه.
فرضيت بالأمر الواقع والقدر، وبابتسامة راضية اكتفت بانها أصبحت فتاةً جميلةً ينظر إليها الجميع بإعجاب، فربما ذلك عوض لها

في المستقبل، ويأتي من ينزعها من الحياة الصعبة إلى حياة أبسط وأجمل، رجل معه المال والقوة التي تؤهلها لحياة سعيدة بدلًا من حياة الفقر والشقاء، تنجب أطفالًا وتعطيهم الحنان والحب الذي حرمت منه وتعلمهم في أحسن المدارس والجامعات، ويكونوا مثلما كانت تحلم وأكثر.

فكان عملها في عيادة دكتور مدحت بمنزلة طوق نجاة لها؛ فأعطته كل وقتها، وأصبحت العيادة مقرًا لمعيشتها وبيتها الأول الذي تشعر فيه بالراحة، فأصبح منزل خالتها فارغًا لا ترى فيه إلا ألمًا وحزنًا كلما رأت صفية تتألم على وضع إحسان، وكلما رأت الرجل الذي رباها وأشفق عليها وكان يفكر فيها لآخر لحظة بلا حول ولا قوة، رجلًا هده المرض وأضعف منه، فهي لا تريد أن ترى ذلك الوضع نهائيًّا وكانت تهرب منه في العمل بعيادة الطبيب مدحت، تذهب مبكرًا وتنظف المكان وتعد كل ما يحتاجه

وتحتاجه العيادة حتى الليل، وتذهب إلى منزل إحسان للنوم فقط.

حتى الطعام تعده لنفسها قبل الذهاب من العيادة، ولإخلاصها في العمل وحكايتها التي حكت لمدحت عليها أعطى لها كل الصلاحيات، وكأن العيادة بالفعل شقتها، وأكمل مدحت مسيرة وعطاء وحنان إحسان وصفية، فعامل منى كأنها أخت له.. حتى زوجته كانت تعطف عليها.

لم تنس منى أن تكون عونًا لصفية في علاج ومساعدة الأسرة لسد احتياجاتهم وتكاليف العلاج الباهظة، وأن تسد شيئًا مما فعلوه معها من تربيتها ورعايتها، فهي لم تكن ناكرة للجميل.

لاحظ المحامي ورجل الأعمال عادل والصديق المقرب جدًّا إلى الدكتور اهتمام مدحت بمنى، وأنها ليست ممرضة أو سكرتيرة فقط؛ بل اهتمامه بها مختلف.. حكى مدحت لعادل كل ما يحيط بمني وحياتها، وأنها من أصل طيب وتحتاج إلى الرعاية والاهتمام، أعجب أيضًا عادل بمنى وبدأ أسلوب حواره معها يختلف من إعجاب إلى حب، واكتملت سعادتهم في وقت قصير، فهو مرارًا كان يبحث عن

فتاة مثل منى، وقد حدث، ورأت منى في عادل كل ما كانت تتمناه.. رجل بمعنى الكلمة، ميسور الحال، لم يكن ثريًّا إلى حد كبير، ولكنه قادر على أن يرعى أسرة كاملة رعاية طيبة.
لم يكلف عادل الأستاذ إحسان أية مصروفات، بل حاول بكل الطرق مساعدتهم على أنهم أسرة منى ومن قاموا بتربيتها تربية حسنة، سعدت صفية وإحسان بهذه الزيجة واطمأنت قلوبهم بأنها سعيدة واختيارها كان صائبًا.
عاش عادل مع منى في سعادة غامرة، نسيت الماضي الذي عاشته، كانت دائمة الذهاب إلى خالتها للاطمئنان عليها وعلى زوج خالتها، ولم تذهب إليهم مرة بيدها فارغة من احتياجات ومال، فهي لم تكن جحودة مسودة القلب يومًا أو تكن لهم أية ضغينة.
مر وقت ليس بكثير بعد زواج عادل بمنى، وجاء يوم وفاة إحسان متأثرًا بمرضه وحالته النفسية. كان يومًا عصيبًا على الجميع، وتألمت منى كثيرًا؛ فهو بالنسبة لها الأب البديل الحنون الطيب، وأيقنت في ذلك الوقت أن المال كل شيء، وبدون المال تسوء الأمور وتكثر الشدائد، وأن تربية الأبناء ليست بالأمر السهل؛ فالتربية تحتاج إلى مال وفير، ورعاية ومجهود وعناء رب الأسرة، ومن لا يمتلك المال لا بد من التروي والتفكير في كثرة الإنجاب، وأن يحتاط من تصرفاته وقراراته.
ولكن رغم ما كانت تؤكده لنفسها لكنها في وضع جيد ومصدر قوة؛ فعادل رجل مقتدر، وشاب يستطيع أن ينجب الكثير من الأبناء ويرعاهم، وبالفعل أنجبت أربعة من الأطفال؛ اثنين من التوائم واثنين آخرين، كانت تريد أن تنجب فتاة تعطيها حنانًا وعطفًا حرمت منهما، كانت تعيش سعيدة لا تبالي بشيء، كرست كل وقتها لأبنائها وعادل بحب فاق الحدود، ووفرت كل سبل الراحة لأبنائها في التعليم بالمدارس الخاصة. لم تخشن أصابعهم وأقدامهم، فالسيارة دائمًا في خدمتهم لأي مكان.. حتى أقلامهم كانت من أفضل الماركات العالميَّة والتي يستخدمها كبار رجال الأعمال.

لم يشعرها عادل يومًا بأية مشكلة أو يجعلها تفكر في شيء، فكل ما تريده وأبنائها مجاب.. فطيلة ساعات اليوم يقضيها خارج المنزل للعمل، وساعات قليلة فقط يحتوي أبناءه وزوجته ولكنهم سعداء جميعًا، لا مشكلة في ذلك.

لم تنس عائلة إحسان من بعد وفاته، وهي دائمة زيارة خالتها ورعايتها.

جاء أول أيام عيد الفطر على منى وعائلتها، ولم تكتمل سعاتها في هذه الأيام؛ فوفاة خالتها كانت ألمًا شديدًا، فهي بمنزلة الأم لها، وزاد من ألمها بسماعها أن زوجها نقل إلى المستشفى في حالة حرجة إثر أزمة قلبية حادة.

سارعت إليه ورافقها مدحت الصديق المخلص وأولادها، الدموع في عينيها وقد تذكرت حالتها أثناء مرض إحسان، لم تستطع عمل شيء فقد فارق عادل الحياة بعد ساعات من وصوله إلى المستشفى.

احتضنت أبناءها وتملكها الحزن والألم، ساندها في لحظتها مدحت وحاول أن يهوِّن عليها، ولكن أي هون وأية مساعدة تكون بديلًا لعزيز فقدناه!

كانت تطمئن نفسها أن هناك فرقًا بينها وبين خالتها صفية؛ فعادل ميسورة الحال.. مما يجعلها تعيش حياة سعيدة هي وأبناؤها، ولن تعاني يومًا من أي شيء.

رجعت منى شقتها وأيامًا من الحزن غيمت عليها، إلا إنها حاولت أن تستعيد نفسها من أجل أبنائها وتماسكت بعض الشيء، وكان عونًا لها في الكثير من الأمور الصديق الوفي مدحت، ويذكرها دائمًا بمشيئة الله وأن عليها أن تتماسك وتقف مساندة لأبنائها وتهوِّن عليهم وتكون الأب والأم معًا، وأعرب عن تقديم المساعدة المالية لمنى إلا إنها رفضت بابتسامة هادئة وثقة بأن روح عادل ما تزال معها ترافقها، وأن لديها ما يكفي من المال لسد احتياجاتها واستمرار المعيشة، وتنتظر وقتًا بسيطًا كي تتم

إجراءات الورث، وفي دهشة وأسف كان يلملم دكتور مدحت الكلمات على شفتيه، فيوجد بداخله حوار صعب يريد أن يحكيه لمنى ولم يستطع، كلمات محبوسة فتح لها الأبواب مدحت، بعدما شدت منى منه الحوار:

- «في إيه يا دكتور؟ أنا حاسة إن في حاجة عايز تقولهالي بس مش قادر، أرجوك لو في حاجة ماعرفهاش قولهالي»

وكانت الطامة الكبرى، فصرح دكتور مدحت لمنى السر الدفين الذي أخفاه عادل عنها طيلة مدة كبيرة، واستمد مدحت القوة في الحوار وصارحها قائلًا:

- «للأسف يا منى عادل كان بيمر بأزمة مالية كبيرة في عمله من فترة، والأزمة للأسف كبرت معاه وماكانش بيقولك على حاجة وكان مخبى عليكي، ماكانش عايز يشغلك معاه ويحسسك بإن في حاجة ممكن تأثر على حياتكم وترجعك تاني لورا، لأنه عارف كويس حكايتك وظروفك اللي مريتي بيها قبل الجواز ومش عايز يرجعك لمستوى أقل من اللي عيشك فيه، كان دايمًا شايف الابتسامة والسعادة على وشك وماكانش يحب إنه يشوفك بتتألمي أبدًا، كان بيحبك جدًّا وبيحب أولاده جدًّا جدًّا، كان دايمًا يقول لي كفاية اللي شافته، أرجعها تاني لأيام الشقا والتعب؟ أنا وعدتها إني أعيشها عيشة كويسة وتبقى سعيدة، ده كان كلامه ليا يا منى، كان بيأمل إن الأزمة تعدي»

ترد عليه منى والدموع في عينيها قائلةً:

- «والأزمة ماكانتش في شغله بس، جت في قلبه كمان. كان قالِّي، كان شاركني، حتى عشان أبطل خلفة.. كنت فاكرة إننا مش هنقع أبدًا، ليه خبى عليا؟»

حوار مؤلم جعلها في يأس شديد وإحباط وشتت تفكيرها إلى حد كبير، وأصبح الزمان يعيد نفسه، واقتربت حالتها من حالة خالتها صفية في الماضي، أسرة وأبناء دون رعاية من رب الأسرة أو مال، ولم تسلم من عائلة عادل بأنها السبب؛ فكثرة الإنجاب جعلت ابنهم في أزمة

لسد حاجتهم؛ مما أدى إلى وفاته. أي إنها أصبحت السبب في كل شيء: وفاته وإفلاسه.
ذكرها هذا الاتهام باتهام أبناء خالتها بأنها شؤم عليهم، ولم تعر لذلك اهتمامًا، فهي تفكر فقط في المستقبل وماذا تفعل، فكرت أن تعمل رغم أن دكتور مدحت قدم مساعداته في تولي رعاية أبنائها حتى يكبروا، فعادل بالنسبة إليه أخ وليس صديقًا فقط، ولكنها لم ترض بذلك.
مرت فترة قصيرة وقد نفد ما معها من مال، فلم تجد غير جمالها؛ فهو الرصيد الموجود كي تعمل في ملهى ليلي يدر مالًا لمن لم يحملوا شهادات أو خبرة أو حرفة.
لم يفِد اعتراض دكتور مدحت على عملها، وامتثلت إلى الأمر الواقع، فلا تريد أن تعيد ما كانت عليه قبل زواجها وأن يرعاها أو يصرف عليها أحد، وخاصةً أن الأمر أصبح عسيرًا وليست بمفردها الآن.
حاولت فقط أن تكون كما كانت، المرأة العفيفة التي لا تبيع جسدها مهما حدث، هذا رغم حالتها النفسية والتغير المفاجئ الذي لم تتوقعه نهائيًّا، وقررت أن تستعيد حياتها المرفهة مرة أخرى، ولكن ليس إلا مع رجل ثري تطمئن معه لماله وتتأكد من أنه قادر على تولي أمورها هي وأبنائها.وبالفعل جاء ما كانت تفكر فيه؛ فعصمت بك كان يرمقها دائمًا وربما يريدها لنفسه، إلا إنه تأكد من أنها ليست فتاة ليل أو تسعى لكسب المال في لحظتها فقط، وأن الوصول إليها لا بد وأن يكون بالزواج؛ فصرح لها بامتنانه لها وإعجابه بها وأنه قادر على أن يسعدها وينتشلها من هذا العمل، ويعوضها عمَّا حدث لها، ولو أنه لا يريد أن يسمع حكايتها أو تروي له أي شيء؛ فوجودها في مكان كهذا دليل على ما عانته من صعاب.
أيقنت منى أنه الرجل الذي سيسعدها ويؤمن لها مستقبلها بعدما علمت من حواره معها أنه على دراية وثقافة وفكر، مما جعله يتفهم الأمر ووافق عليه، وأن ظروفه الحياتية جيدة فلم يكرر زواجه مرة أخرى بعد انفصاله عن زوجته الأولى لأنه لم يجد ما يؤنسه ويحبه.

وافقت منى على الزواج به بعدما كتب لها شقة تمليك عوضًا عن شقتها التي حجز عليها البنك، وسيارة وبعض المال. وتفحصت منى الأمر وعلمت أنه ثري وقادر على أن يرعى عشرات الأسر، فوافقت على الزواج به، ولكن زواجًا عرفيًّا وكان هذا شرطه.
أعطاها ما تؤمِّن به نفسها وأبناءها مقابل هذا الشرط ولم يقل لها السبب في طلبه ذلك، لم تهتم منى إن كان رسميًّا أو عرفيًّا، فهي تسعى فقط لتأمين نفسها وأبنائها وقد تم، حتى وإن تركها فلديها المال جاهزًا لمشروع، ولديها سيارة وشقة تمليك.
تنفست الصعداء، وإنه آن الأوان لأن تعيد ما كانت عليه وتستمر الحياة.
استمر زواج منى شهورًا واستعادت سعادتها مرة أخرى.. ولكن حياتهم الزوجية لم تكن عاديَّة، بل كان عصمت مجرد زائر، لم يبت معها طيلة الوقت بحجة أعماله في كثير من الدول المختلفة، لم تكن تهتم منى طالما كل طلباتها مجابة.
ودائمًا تأتي الرياح مع منى بما لا تشتهي السفن، وعلمت زوجة
عصمت الأولى والتي كذب على منى بأنها طليقته لا تزال زوجته، وكل ما يملكه من شركات ومصانع وسيارات وأموال باسمها، علمت بزواج عصمت ومنى، وصارحت عصمت الذي صرَّح لها بحقيقة الأمر، وأن زواجه عرفي ولتعتبره كأنه لم يكن، وأن ما تملكه منى من شقة تمليك أو سيارة أو مال في البنك كله هراء ودخان ليس له أساس من الصحة؛ فقد سحب الرصيد بالكامل من البنك، وكل الأوراق التي تثبت ملكيتها للسيارة والشقة تم تزويرها بطريقة ما، وأصبحت لا تملك أي شيء.
ارتاحت زوجة عصمت الأولى لما فعله واعتبرت ما حدث نزوة، فهي أيضًا تمتلك من هذه النزوات الكثير، وتخونه أيضًا وتعتبره فقط عاملًا بالأجر أو مديرًا لأموالها فقط.
كان عصمت جريئًا إلى حد كبير مع منى، وقحًا، نذلًا.. فكان رده على منى بعد علمها بما حدث:

- «انتي فاكرة إني هاديكي كل الفلوس دي والعربية والشقة وأربي عيالك عشان بس المتعة؟ الحكاية كلها إني ماكنتش طايلك، وخلاص وقتك انتهى، وزي ما أنا خدت منك انتي كمان خدتي مني كتير، كفاية عليكي كده»
تركها في ذهول وشعرت أنها باعت نفسها بأجر، تشتت تفكيرها وجن جنونها، أصبحت بحال أسوأ مما كانت عليه، اتصلت بمدحت بعد أن ذهبت إلى شقة مفروشة بقليل من المال معها وأعلمته بما حدث لها، هو لم يكن مطمئنًا لهذه الزيجة، حاول أن يخفف عنها همومها وأنها يمكنها الاعتماد عليه، وتركها مدحت ولا زالت تفكر فيما تنويه، وظلت شاردة تفكر في حالها الذي وصلت إليه، وكأنها اتخذت قرارًا فاتصلت بمدحت مرة أخرى وطلبت منه أن يحضر إلى الشقة في أمر هام؛ فلبى مدحت النداء على الفور، كانت منى في طريقة طلبها لمدحت أنها تنوي شيئًا، تركت رسالة لمدحت مع أكبر أبنائها وأكدت له أن يعطي الرسالة لدكتور مدحت عند حضوره، خرجت منى قاصدة شركة عصمت وطلبت مقابلته، وعندما علم بأنها تريد مقابلته طلب من أمن الشركة طردها مبررًا بأنها متسولة تلاحقه في كل مكان. خرجت منى وانتظرت عصمت بالخارج بجانب سيارته وقتًا طويلًا وهي تستعيد حياتها بالكامل بمشاهد متلاحقة في رأسها وكل ما مر عليها، حضر مدحت وأعطوه الرسالة، قرأها وخرج مسرعًا وقاد سيارته وكأن هناك شيئًا يريد اللحاق به.
خرج عصمت من الشركة متجهًا إلى سيارته ومدت منى يدها في حقيبتها وأخرجت مسدس زوجها عادل الذي احتفظت به، فهو الذكرى الوحيدة لها من الماضي السعيد، وانهالت على عصمت بالرَصاص وأصابته إصابات أودت بحياته في الحال، وشعرت بأنها تخلصت من الماضي المؤلم الذي يلاحقها؛ فلم يعد لها أمل في الحياة ولا تستطيع أن ترى أبناءها مشردين، فربما أخطأت ولا بد أن تنال العقاب. فأطلقت الرَصاص على نفسها وارتطمت بالأرض بجانب عصمت.

حضر مدحت بسيارته في وسط عدد كبير من المارة يحيطون بمكان الحادث، وسيارة إسعاف وسيارتي شرطة، والمسعفين يحملون منى داخل سيارة الإسعاف، ينظر إليها مدحت في ألم شديد، وكأنه يستعيد قراءة الخطاب الذي تركته له:

- «دكتور مدحت، طلبت مني كتير إنك تخلي بالك من ولادي وترعاهم وأنا كنت برفض، واتصرفت من دماغي، أنا آسفة إني هحملك هم أولادي وأولاد عادل، بس انت الوحيد اللي هتخلي بالك منهم، أنا رايحة أنهي الماضي والحاضر، هنتقم من اللي ضحك عليًّا وهنتقم من نفسي كمان، هقتل عصمت وهموت نفسي، يمكن يكون هو ده قدري أو اللي مكتوب عليا، بس أنا مابقاش عندي استعداد عشان أفكر في أي حل لعيشتي أنا وولادي بعد ما بقينا في الشارع، ومش هكرر عيشتي الصعبة تاني، مش قادرة أستحمل غدر تاني كفاية عليا كده من غدر الزمن»

النهاية

عقاب المجهول

تضطرنا الظروف الحياتية أحيانًا وتجبرنا على بعض التصرفات والأفعال التي لا نرضى عنها لو كنا في مواقف أو ظروف مختلفة، مما يجعلنا أحيانًا نتخلى عن مبادئنا أو أحلامنا أو، أو...
وهذا ما فعلته فتحية عندما ودعت زوجها علي وهي تدعو له الله أن يوفقه في سفره، فهذا هو الأمل الوحيد لهم بعدما عانوا كثيرًا في الحصول على فرصة عمل لعلي، استدانوا وتحملوا نظرات جارحة من الناس أثناء جمع مبلغ السفر؛ فسفره كان الفرصة الوحيدة بمكتب توظيف العمالة للخارج، تغاضوا عن كل شيء في سبيل تربية الفتيات الثلاث، حملت فتحية في المرة الأولى بهند، وفي المرة الثانية بأماني، والثالثة دعاء، فكانت تتمنى الولد ولم يشأ النصيب.
ولم يعترض علي بل كان سعيدًا بإنجابه للفتيات، فكان على يقين من أن الفتيات رزق وسيكرمه الله من أجلهن.
ولهذا اجتهد في الحصول على عمل بالخارج، لم يأخذ علي حظه في التعليم وكان تعليمه متوسطًا حتى دبلوم ميكانيكا السيارات، نتيجة لظروفه العائلية.
كان عائل الأسرة الوحيد لأخواته البنات، وأمه وأبيه، عانى كثيرًا حتى يرعى أخواته، وبالفعل زوجهن وأكمل مسيرة التضحية، وراعى والده ووالدته حتى فارقوا الحياة، وتزوج هو بفتحية، التي لا تهتم سوى بأنها تنجب أطفالًا فهم عزوة كما تعلمت من صغرها.
وكان سفره هدفا أساسيًّا في تأمين حياة أفضل لأسرته ولم يفكر في متاعب الغربة لأنه أول مرة يبتعد عن الوطن وأسرته، وسافر.
وتنفست فتحية الصعداء، تنفست نفسًا كان مكتومًا منذ وقت طويل؛ فهي تخفي عنه حملها للمرة الرابعة، فكثرة متطلبات الحياة جعلتها في ضيق شديد وجاء السفر كطوق النجاة لعلي.
مر شهران على سفر علي ولم يرسل إليها أية رسالة أو هاتف يطمئنها عليه أو يطمئن هو على أسرته، ورغم ذلك كانت تبرر فتحية عدم اتصاله بكثير من المبررات، ولم تتوقع أي سوء أو مشكلة، وتمسكت بحملها من علي حتى وصلت إلى الشهر الثالث بدون علم

علي، فلم تستطع أن تصارحه وهو على مقربة من السفر حتى لا يزيد من توتره وعصبيته.
كانت فتحية على يقين أن في الأيام القادمة خير وقد فتح الله لعلي باب رزق، على الرغم من أن علي قد شدد عليها ألا تفكر مرة أخرى في الإنجاب وأن تحرص بكل السبل والموانع على عدم الإنجاب مرة أخرى لأن الظروف لا تسمح بذلك نهائيًّا، إلا إن فتحية ضربت عرض الحائط بكلامه، وشعرت أن بسفر علي قد انفتحت لها طاقة القدر؛ فتغاضت عن الموانع.
هذا ما أدركته بعلمها البسيط الذي حصلت عليه بعد عناء شديد، فهي من أسرة متوسطة الحال ولا يستطيعون إكمال التعليم إلى الشهادات العليا.
شرحت فتحية لجارتها المقربة فاتن وصديقتها الحميمة بأمر الحمل، وأيدتها فاتن فيما فعلت ونصحتها بأن ترسل إلى علي خطابًا تسأل عنه وتفاجئه بالحمل، وأنه لن يغضب نتيجة تحسن ظروفه؛ فعندما رفض الإنجاب كانت الظروف سيئة، والآن قد سنحت الظروف ولا مانع من الإنجاب، وسيتغاضى عمَّا فعلته فتحية في إخفائها عليه الأمر قبل سفره.
نفذت فتحية ما أبرمت عليه فاتن، فهي الرأس المدبرة لفتحية.. وأرسلت لزوجها خطابًا شرحت فيه كل شيء وأنها سترزق بطفل وتتمنى أن يكون ولدًا ظلًّا لأخواته وظهرًا لوالده، فبحديثها لعلي تريد أن تمتص غضبه وتهيئ له الموضوع سهلًا، وأن الظروف أصبحت مناسبة.
قرأ علي الرسالة وكأن النار اشتعلت في جسده، لم يدرك أن فتحية وصل بها التفكير لهذا الحد، وكان مطمئنًا أنها أخذت درسًا من حالتها وهي في بيت أسرتها، وأن كثرة إخوتها وسوء حالهم وكل ذلك نصب أعينها، ولن تكرر المأساة مع نفسها، ولكن خطابها أكد أنها لم تستفد من دروس الماضي لعائلتها أو لأسرتها؛ فالتقط قلمًا وأخذ يسطر رسالته لفتحية، كان نصها:

- «فتحية، لقد ارتكبت خطأ جسيمًا يجب حله، ولا يوجد بيننا وقت للجدال أو المفاوضة.
أحب أن أعلمك أن مكتب العمالة كذب علينا، وبعد أن استلمنا أنا ومن معي العمل رأينا أسوأ معاملة؛ فلا نستطيع النوم أو الأكل كما يكون الإنسان الطبيعي، ونأخذ ربع المرتب إجبارًا، ونحن الآن نتحمل من أجل الشرط الجزائي في العقد لأخذ أوراقنا للنزول إلى البلد مرة أخرى، فأمامنا أربعة أشهر أخرى وسأحضر، وأن ما حدث منك لم يكن وقته ولم يكن ضروريًّا؛ فلماذا، فلماذا فعلت ذلك؟ ولم تنتظري حتى تتأكدي من أنني بحال أفضل وصرت مرتاحًا وأملك مالًا يطمئننا جميعًا؟ وحتى إن كان لدينا المال فيكفينا ما لدينا من أبناء وخاصة في الوقت الحالي.
سأعود قريبًا، ولا بد من أن تتخلصي من حملك هذا بأية طريقة، وقبل أن تقولي حرامًا وحلالًا؛ فالحرام هو أن نأتي بأطفال تصعب رعايتهم ويكون مصيرهم الشارع مهملين دون رعاية، ويكملوا مرارًا كنت فيه من قبل وحتى الآن لا زلت أتذوقه.
فتحية، إن لم تفعلي ما طلبته منك سأتركك فورًا دون نقاش؛ فأنا لا أستطيع أن أظل مع زوجة لا تستطيع الحفاظ على زوجها وأبنائها ولا تتحمل المسئولية، وما دمتِ فعلتِ ذلك الخطأ الجسيم تحملي العاقبة إذًا»
قرأت فتحية الرسالة التي شدت قلبها إلى الأرض، ورأت أنها فقدت كل شيء وحملها هذا هو نهاية الحياة بالنسبة لها، فلم يبق لها في الدنيا سوى أبنائها وزوجها ولا تستطيع التضحية بهم والاستغناء عنهم، فيجب أن تنفذ ما أمرها به علي مهما كانت الظروف، فقد أفاقت من غيبوبتها ومصيرها على حافَة الهاوية، والشارع ينتظرها فلا مأوى لها لو نفذ علي ما في خاطره بعد الكارثة التي لحقت به، فلن يقوى زوجها على تحمل أية مسئولية أخرى. تخيلات كثيرة راودت فتحية والرعب دب في قلبها.

شرحت فتحية لفاتن ما حدث وما قرأته في خطاب علي، إلا أن فاتن طمأنتها وبررت رسالة علي بأنه يكذب في حديثه وأنه يريد أن يظل حرًّا طليقًا ولربما رأى ضالته في امرأة أخرى في الخارج، ولا يريد تكتل المصاريف، وعليها أن تستمر فيما نوته.
كانت فاتن شيطانها الذي يوسوس لها دائمًا، وشجعتها وبررت كلام علي بأنه غير صحيح وغير معقول، فلا نسمع عن أحد سافر ورجع فائض اليدين، ولا أساس لما روى من الصحة، كانت كلمات فاتن تؤكد أنها على صواب أو أن فتحية لا تريد أن تسمع غير ذلك، وكل كلمة من فاتن تمحي سطرًا من خطاب علي في رأس فتحية، وأن استمرار الحمل في مصلحتها، فألغت فتحية فكرة التخلص من الجنين.
مرت الشهور منذ أرسل علي رسالته وأصبحت فتحية في شهرها
الأخير للإنجاب، تتألم وتصارع صرخات الإنجاب الذي أوشك على أيامه الأخيرة، وزاد صراخها رسالة من علي يخبرها بقدومه خلال أيام، هذا وقد أكد ما ذكره في خطابه الأول.
ورأت فتحية أنها في مأزق كبير جدًّا ولا يمكن التراجع فقد اكتمل الحمل وأصبح الطفل جاهزًا للصراخ واستنشاق هواء الدنيا ونورها.
لم يكن بيدها شيء سوى أن تحكي لفاتن مصيبتها كالمعتاد، فهي من دبرت وأقنعت.. لكن ما روته فتحية لم يخِف فاتن، وردت بلا مبالاة بأن الحل موجود وبكل بساطة؛ فطالما لم تتخلص من الجنين في شهوره الأولى، من الممكن أن تتخلص منه بعد أن يخرج إلى الدنيا، وكان الحل الذي طرحته فاتن هو الحل الوحيد أمام فتحية.. وهو الخلاص من الجنين فور ولادته وإعطائه إلى أسرة ثرية ترعاه، وأنها ستكون الوسيط بين الأسرة وفتحية، وعلاوة على ذلك سيدفعون مالًا كثيرًا.
ترددت فتحية في بادئ الأمر، لكها رأت أنه الحل الوحيد أمامها، وهونت فاتن عليها وذكرتها بما سيحدث لو جاء علي وطلقها، بل طردها بلا مأوى أو أحد يرعاها، وتشتيت أبنائها بدون أم، وحتى إن

أخذتهم ففي أي مكان ترعاهم، وأين المال؟ فهي بدون عمل أو مصدر رزق.
هيأت فاتن لها الدنيا سوادًا وغيومًا ولا سبيل ولا مخرج إلا فكرتها.
وقفت فاتن بجانب فتحية حتى إنجابها لأطفالها التوءمين الذكور، وقرروا أن من يسأل عن إنجاب فتحية يكون الرد أن توءميها توفيا بعد الولادة، وسواء علم علي بعد ذلك فليس مهمًا، كأن شيئًا لم يكن.
أخذت فاتن التوءمين وقدمتهم بالنيابة عن فتحية للسيدة ثريا، زوجة رجل الأعمال جوهر، وكأنها كانت تدبر كل شيء من فترة وتستعد لوقت التنفيذ، باركت ثريا لفتحية على سلامتها وأعطت لها حقيبة فيها أموال كثيرة وأخذت التوءمين فورًا، نظرة فتحية وبكاؤها كانا يؤكدان إحساس الأمومة والتي لم تظفر بجمعهم
لثوان، إلا إن فاتن بجوارها وبسرعة بديهة غيمت عليها ما تفكر به بالتراجع، وبدأت تدير لها شريط الماضي وتخيفها وأنها ستنسى سريعًا ويجب أن تنتبه إلى زوجها وبناتها، وأن المال بحوزتها سيعوضها عن كل شيء، وخاصة أن علي سيحضر بلا عمل أو سبيل، وإن أحبت أن ترى أبناءها مع السيدة ثريا ستراهم في أحسن حال وعز ونعيم.
خرجت فتحية من المستشفى حزينة في انتظار علي القادم بعد فترة قصيرة فارغ اليدين، وطال انتظارها ولم يحضر منذ حدد لها في خطابه الأخير، مرت شهور دون أن يحضر أو يطمئنها بشيء، وفي أحد الأيام حضر أحد الرجال إلى فتحية من طرف علي يطمئنها على زوجها علي ويعطيها بعض المال، ولم يقل لها أية تفاصيل، سوى أن هذا المال من علي وأنه لا يزال في الخارج ولا يعلم عنه شيئًا أكثر من ذلك، لم تشعر فتحية بأية مشكلة من ناحية الماديات؛ فلديها المال الوفير من السيدة ثريا، وأضاف علي لها أيضا مالًا، وكلما سألت فتحية عن أبنائها ترد فاتن بأنهم بأحسن حال، وفي آخر مرة صفعتها بالرد أن السيدة ثريا وزوجها جوهر غادروا البلد إلى الخارج، وطلبت من فتحية أن تنسي حتى لا تشعر بالضيق، والأيام والسنوات

القامة كفيلة بأن تنسيها ذلك وأن تنتبه إلى أبنائها وزوجها؛ فهم أقرب الآن لها.
مرت شهور منذ جاء لها المرسال من طرف علي، أرسل لها علي بعد ذلك خطابًا يطمئنها عليه وأنه استطاع الحصول على عمل آخر جديد مناسب لتخصصه مع أحد رجال الأعمال الذي توسم فيه الطيبة والرجولة والخبرة أيضًا، واستقرت أموره وعوضه الله عن تعب الشهور الماضية، وأنه سيظل مع هذا الرجل بعض الوقت حتى يستطيع تدبر أحواله وجمع حصيلة من المال لسد احتياجات أبنائها.
رضخت فتحية لحكم الله من قضاء، وتوالت الشهور والسنين ولم يأت علي حتى للزيارة، سوى إرسال الأموال والسؤال عن أسرته هاتفيًا، وبشر فتحية بأنه ناجح في عمله، لم تنس فتحية أبناءها وما فعلته، وحاولت النسيان ولم تفلح، إلى أن جاء علي ومعه نجاحات كثيرة، وفكر هو في إنجاب طفل آخر من الذكور يحمل اسمه ويكون بديلًا له في عمله، يرث ما يتركه له ويكون سندًا لأخواته البنات، وبالفعل أنجبت فتحية توءمين آخرين من الذكور، عمرو وهشام، تقدم علي في عمله وأخذ توكيلًا لقطع غيار السيارات، وارتفع اسمه بين التجار، علاوة على أنه أكمل تعليمه وحصل على شهادته كمهندس ميكانيكا، وأصبح معروفًا.
كبرت الفتيات الثلاث وأصبحن في مراحل الشباب عرائس ينتظرن من يطرق بابهم، وكبر الأبناء الذكور وأصبح عمرو ضابطًا، وهشام محاميًا، ورغم صغر سنهم إلا إنهم كانوا أَكْفَاءً في عملهم مثلما أثبت والدهم كفاءته في الخارج وفي بلده، وأثبت ذاته بمجهود وشقاء، وحقق ما تمناه الأبناء والشهادة العليا والمال والسمعة الطيبة بين الناس حتى يتشرف به أبناؤه في كل مكان، لقد اكتملت كل قومات الشخصية: الأخلاق، والعلم، والمال.
عادت السيدة ثريا والسيد جوهر من الخارج ومعهم أبناؤهم بالتبني نادر وعادل، على مظهرهم الوجاهة والغرور، وكما اعتادت فتحية زيارة فاتن لتسأل عن أبنائها وإن كانت السيدة ثريا عادت أم لا، فقد

تغير حال فاتن بعد مرض زوجها وأصبح قعيد الفراش، ورأت فتحية تغيرات كثيرة على فاتن في معاملتها لزوجها وكأنه لا شيء بالنسبة لها؛ فهي وحيدة وهو معها ولم ترزق بطفل، فهناك موانع كثيرة لدى الزوج تمنعه من الإنجاب مما جعلها ناقمة على كل زوجة تلد طفلًا، فسلكت طريق الفحشاء بين السهرات الحمراء والتعامل مع الرجال، فهي لا تبالي بأي شيء وأرادت أن تستمتع بالحياة بطريقتها، فلا أنيس أو جليس أو أي حد يحكم تصرفاتها، وكانت صريحة مع فتحية.. فهي لن تنتظر أي غدر منها، وخاصة أنها تمسك عليها ما يجعلها في الحضيض بين أبنائها وزوجها، علمت فتحية من فاتن كل أمورها، ولكن هي الوسيط ولا تستطيع البعد عنها مهما علمت مما تفعله.

أعطت فاتن لفتحية الأمل من جديد بأن السيد جوهر وزوجته وأبناؤه عادوا إلى أرض الوطن، تنفست فتحية نفسًا عميقًا بارتياح عندما علمت بهذا الخبر، وعلى الرغم من كل ذلك حاولت فتحية أن تنبه فاتن إلى خطورة ما تفعله، ولم تهتم فاتن وبررت بأنها تقضي أيام حياتها فلم يعد زوجها نافعًا لها ولا بد وأن تتمتع بأنوثتها، فهي لا تزال صغيرة السن ومرغوبة لدى الرجال.

ومن حوار فاتن أدركت فتحية أنها كانت فريسة لها وأنها لا تهتم بأحد أو لديها ضمير، ولكن ما باليد حيلة فقد فات الأوان ولا بد من أن تظل فاتن الوسيط وتتعامل معها، ووعدتها فاتن أن تذهب معها لرؤية أبنائها، ونفذت بالفعل وقابلتها بالسيدة ثريا وزوجها السيد جوهر والأبناء نادر وعادل، وقابلتهم فتحية بصفتها صديقة مقربة من السيدة ثريا، رحب بها الأبناء، وكانت أمنية فتحية أن تحتضنهم، نظرت إليهم بحب وشغف وعيناها تلمعان، يديها ترتعشان، كل حواسها في حنان الأم كانت تتمنى أن تفصح لهم عن الحقيقة الغائبة، شفتاها ولسانها يتحركان ولكنهم مربوطون بلجام الخوف والقلق، واستغلت فاتن هذا المشهد والمقابلة وطلبت من السيدة ثريا نقودًا؛ فكل ما يحدث في مصلحتها فقط.. لا تشعر بشيء مما حولها، ودائمًا ما

تحاول أن تهدد ثريا بأن فتحية تريد الإفصاح عن الحقيقة لأولادها، وهذا ما يجعل ثريا تعطيها المال.
انفردت فتحية بأبنائها، يسمعونها في حوار غريب وكلمات تشبه الغزل، وجهها وعيناها تنمان عن حب واشتياق؛ مما أثار حفيظة الأبناء وبدءوا في النظر إلى بعضهما، وعلى وجههم تساؤلات.
انتهت الزيارة بفضل فاتن واعتذرت بأن لديها موعد هام، ووعدت الجميع بحضورها مرة أخرى برفقة فتحية، كانت فتحية هائمة بوجدانها في اللحظات التي قضتها مع أبنائها وكانت تتمنى أن تظل وقتًا أكبر من ذلك، استغرب الأبناء مما فعلته فتحية من حوار ونظرات، ووصل شكهم إلى أنها ترغب أحدهم أو أنها سيدة غير سوية، ولولا أنها سيدة في سن متقدم لأكدوا شكوكهم، ولكن السيدة ثريا محت من خيالهم هذه التوقعات، وأن
فتحية سيدة على خلق وصديقتها منذ فترة ولا توجد أية فرضية مما يفكرون فيه نحوها، وأنها فقط تريد أن تكون لطيفة معهم ليس إلا.
رجعت فتحية إلى منزلها وعلى وجهها علامات الضيق وكأنها تركت أبناءها بالفعل، ولاحظ علي والأبناء ذلك التغير، وأكدوا أن فاتن سبب التغير، ونبهها علي أنه لم يرض أو يوافق على ذهابها إلى فاتن والتعامل معها نهائيًّا، فهو في الأصل ومنذ البداية لا يرغب في ذلك ولم يرتح إليها نهائيًّا منذ كانوا يعيشون معًا في المسكن القديم. حاولت فتحية أن تلملم أفكارها عمَّا يشك
فيه علي وأن فاتن ليست سببًا في أي شيء بل إنها متعبة فقط من المشوار، وجاء حوار الضابط وأخيه المحامي طوق النجاة لفتحية، حينما سمعهم علي وهما يتحاوران بصوت مسموع فتدخل علي في الحوار، وكان حوارهم في وجهات النظر في العمل وحول ملابسات قضية تشغل بال الضابط عمرو ويعلق عليها المحامي هشام، كان علي هو الأصح قولًا وينهي التداخل بين الإخوة، فشاركهم الرأي من وجهة نظره، حكى عمرو له أن هناك رجل أعمال يقوم بالتهريب وله اتصالات في بعض الدول، وتم تأكيد المعلومات ولكن لم تستطع

السلطات القبض عليه لحرصه الشديد، ويستغل أبناءه في العمل معه، وكل ما لديهم المعلومات فقط، يرد هشام ويقول إن على الشرطة التأكيد والدليل القاطع قبل القبض عليه، وكان هذا أيضًا رأي علي، وكم كانت سعادته وأبناؤه يتجادلون ويتحاورون في قضية قانونية وقد أصبحوا رجالًا يتباهى بهم، واشترك معهم في حوار فكاهي هند وأماني ودعاء، وأن المنزل أصبح محكمة لتداول القضايا، اجتمع الأبناء وعلي وانضمت إليهم فتحية حتى لا يشعروا بالتغير الذي طرأ عليها، وبالضحكات والابتسامات اجتمعت أسرة علي، بينما وفي أحد الشوارع يجلس نادر بجوار أخيه عادل بالسيارة على الطريق، ولا تزال تشغلهم زيارة فتحية ويتحدثان عنها، وأيضًا يستغربان من نفسيهما، لأنهما يفكران في حوارها ونظراتها إليهم، وأنهم بالفعل ينجذبون إليها، وأن ما أفادت به والدتهم ثريا لم يقتنعوا به ولا بد أن في الأمر شيء يريدون فك ألغازه، وينتظرون المقابلة القادمة عسى أن يجدوا إجابة عن شكوكهم، كل هذا وهما جالسان وكأنهما في انتظار أحد ما، وانقطع حديثهما بمرور فتاة من أمام السيارة وكأنهما ينتظرانها، جميلة الوجه ممشوقة القوام، ولم يلحظ نادر وعادل أن أخوي الفتاة يراقبانها، نزل نادر من السيارة وتقدم من الفتاة ليتحدث معها، وإذا بأخوي الفتاة يتقدمان إليه ويحتد الحوار بينهم ليصل إلى تشابك بالأيدي؛ فيرى ذلك أخوه عادل فيسرع وينضم إليهم ويتشاجروا جميعًا، تجمع المارة لفض المشاجرة وتدخلت الدورية الراكبة من الشرطة.

وفي القسم الموجود به عمرو بنفس الدائرة تواجد السيد جوهر، وطلب أشد العقوبة على أخوي الفتاة لما أحدثوه من ضرر بالسيارة بتهشيمها، وضرب أبنائه، كل ذلك على الرغم من أن المحضر يؤكد أن ابناه قاما بمعاكسة الفتاة والتي تدعى نادية في البداية، وبدأ الضابط عمرو اتخاذ الإجراءات القانونية، وهو على علم ويقين بالسيد جوهر وأبنائه وأنهم تحت المراقبة، وفي حوار جانبي بين نادر وعادل أقروا التصالح، ووافق أخوا نادية أيضًا، وتنازل كل منهم عن حقه باعتبار

أن نادر كان يرغب في خطبة نادية ويعلم عنها الكثير وما حدث ليس تحرشًا بها أو معاكسة، ولكنه كان يريد أن يتقدم إليها ويخطبها، رحب أخوا نادية بذلك وأنهم لم يعلموا ذلك وكانت الصدفة فقط أنهم يسيرون في نفس اتجاه أختهم، ورحبوا بنادر وعادل وأنهم في انتظارهم بمنزلهم المتواضع.
سمع جوهر بك كل ذلك وكان في أشد العصبية، وتحامل على الفتاة وإخوتها، ولم يرضه تصرف أبنائه، إلا إنهم تحاوروا معه بهمس؛ فوافق على الفور، وغير رأيه من نقيض إلى آخر، هذا ما أدهش الضابط عمرو، ورأى أن هناك شيئًا ولا بد من أن يعرفه، ويشير أن عائلة جوهر تنوي على شيء، وربما يكون الفتاة وأخواها كبش فداء، لم ينم عمرو في هذا اليوم وهو يفكر في الأمر، وحكى لوالده عما حدث، ورجح علي رأي عمرو وفي أن في الأمر شيئًا غريبًا.
وفي اليوم التالي نفذ نادر وعادل اتفاقهم مع أخوي نادية وحضروا لمنزلهم المتواضع بسيارة أخرى فارهة بخلاف التي تهشمت، تأسف الجميع وتم الرضا بينهم، شرح أخوا نادية لأبناء جوهر ظروفهم العائلية وأنهما هما من يعيلان إخوتهم الصغار ونادية بعد وفاة والديهم، ولا يملكون سوى سمعتهم فقط، وعملا جاهدين على تعليم إخوتهم ونادية، ومن هنا قدم نادر وعادل خِدماتهم لأخوي نادية، على أن يعملا معهم ولديهم عمل وهما أولى أن يرشحا له، سعد أخوا نادية بهذا العرض، واتفق نادر على أن يتقدم رسميًّا لطلب يد نادية بعد إتمام صفقة ما هم مشغولون بها، وطبيعة العمل هي السفر للخارج، وسيعدون كل الإجراءات القانونية وجوازات السفر لهذا وسيعم الخير على الجميع.
فرح مدحت وكريم أخوا نادية بهذا العرض وكأن طاقة القدر انفتحت لهم، خرج أبناء جوهر من منزل نادية فرحين بما حدث، ولم تكن نية نادر خطبة نادية بالفعل، ولكن مرارًا رآها في طريقه وكان يتخيل أنها سهلة المنال، ولكن لكي يتخلص من مأزقه ادعى أنه يريد

خطبتها، ورأى أنها فرصة سانحة للاقتراب منها وأيضا لاشتراك أخويها معهم في أعمالهم.
وفي منزل علي رجع عمرو من عمله وعلى وجهه علامات الضيق والغضب، واستأذن والده ووالدته في الحديث معًا على انفراد، وحكى لهم أن السيدة فاتن جارتهم في المنزل القديم تم القبض عليها في شقة مشبوهة، وعلم ذلك بحكم عمله وطلب من والدته أمام والده قطع صلتها بها نهائيًّا وألَّا تسأل عنها حتى بعد خروجها من القضية حتى لا تثير الشبهات نحوهم، وجاءت نظرات علي إلى فتحية تؤكد مخاوفه وتوقعاته نحو فاتن.
أعدت عائلة جوهر الصفقة وأن مدحت وكريم هما المسئولان أمام القانون لو حدث شيء يخيف أو تم القبض عليهم؛ فقد كان قرارهم السفر بلا عودة هذه المرة، وأنها آخر صفقاتهم في البلد وبعده المغادرة إلى بلد بعيد لا يرجعون أبدًا، وترتاح أيضًا ثريا من مطاردة فاتن وفتحية لها وتهديدها بإفشاء السر، ذهبت فتحية إلى ثريا في زيارة بدون فاتن هذه المرة، وما إن شاهدت فتحية أبناءها طارت من الفرحة ولم تسيطر على نفسها، سلم عليها الأبناء وعلى وجههم الاستغراب والاندهاش من تصرفاتها وملامحها الغريبة، ولكن في عجالة غادروا، ليكملوا الصفقة المنتظرة، وهذه المرة تعبيرات فتحية تثير الشكوك وتنبئ بفتح ملفات الماضي.
قابلتها ثريا بترحاب ولم تقل لها عن سفرهم جميعًا بلا عودة، ووعدت فتحية بأن المقابلة القادمة سيكون الوقت كافيًا للتحاور مع أبنائها وتتمتع برؤيتهم كيفما تشاء، اجتمع جوهر وأبناؤه بمكتبه بالڤيلا وشدد عليهم الحذر والاحتياط، وأن هذه الصفقة هي أكبر صفقاتهم، وبدأ جوهر تصفية جميع حساباته وأعماله التي هي ستار فقط وراء أعماله المشبوهة، كما تم بيع الڤيلَّا التي يعيشون فيها.
رجعت فتحية لمنزلها واصطدمت مرة أخرى بعمرو الذي صارحها بعلمه بزيارتها لثريا وشرح لها الأمر وأن ڤيلَّا جوهر مراقبة كلها

ومشتبه فيهم جميعًا، وزيارتها المتكررة لهم ستؤذيها وتؤذيه كضابط، حتى لو كانت صلتها بهم صداقة.
اقتنعت فتحية بالأمر، ولكن ما يشغل بالها هو كيف تصبح عائلة جوهر وأبناؤها مشتبهًا فيهم؟ ماذا تفعل، هل تمتثل لأمر ابنها أو تبلغ عائلة جوهر وتنقذ أبناءها؟ شتان بين الأمرين.
واقتربت نهاية الصفقة واجتمع أبناء جوهر وأخوا نادية في الڤيلَّا، وكان آخر يومٍ لهم فيها، وأعدوا كل شيء من حقائب السفر التي فيها المهربات والتي لا يعلم عنها أخوا نادية، سبقهم في هذه الليلة ثريا وجوهر إلى الخارج، وسينتظران نادر وعادل في اليوم التالي مع أخوي نادية. وكلاهما على حدى وكأنهما غرباء عن بعضهم في المطار وبالطائرة.
وطلع النهار، وبالمطار أثناء تفتيش الحقائب تم اكتشاف المهربات، وتم القبض على نادر وعادل بدلًا من أخوي نادية، وهذه كانت الخطة التي وضعها عمرو بالاشتراك والتعاون مع أخوي نادية وفي سرية تامة، بعد أن شك عمرو في بداية المشاجرة بين أبناء جوهر وأخوي نادية، ورأى أن الأمر غريب وأن أخوي نادية سيتعرضون للمخاطر دون علمهما؛ فاتفق معهما على أن يكونا عونًا ومساعدين للشرطة في القبض على العائلة، وأن يتماشيا معهم فيما يريدون ويوافقا على العمل معهم، وبالفعل تم تبديل ما في الحقائب دون علم أبناء جوهر، وتم القبض عليهما بدلًا من الأخوين الشريفين.
علم جوهر وثريا ما حدث، وأرسلت ثريا إلى فتحية رسالة كان مفاداها:
- «فتحية، كتمنا السر سنوات طويلة، وجاء الوقت لنفصح عن الحقيقة. نعلم أن أخوي نادر وعادل هما ضابط ومحامٍ، حاولي أن تساعديهما وتجعلي أخويهما يدافعان عن إخوتهم؛ لأنني سافرت للخارج مع جوهر ولن نعود نهائيًّا، وتركناهما لكِ فهما أبنائك في الأصل، وتم القبض عليهما بواسطة ابنك أيضًا، وأنت المسئولة أن تكملي مسيرتك معهم، فضلًا عن استغنائك عنهما في الماضي»

انهارت فتحية بالبكاء، وعندما أصر أبناؤها وزوجها على أن تفسر سبب بكائها، شرحت لهم كل ما حدث بالماضي، لم يصدقوا ما حدث وما يسمعونه وكأنه فيلم سينمائي، وطلبت فتحية من زوجها وأبنائها أن يصفحوا عنها، وطلبت من هشام أن يدافع عن أخويه، وليحدث لها ما يحدث من عقاب، فقد أصبحت لا تهتم بشيء الآن، فيكفي ما حدث لها طيلة سنوات من عذاب الضمير والحرمان.
وبدأ هشام في ساحة القضاء يحاول جمع كلمات مرافعته التي هي من أصعب المرافعات:
- «سيدي القاضي، إن هذه القضية أغرب القضايا التي ترافعت عنها، وأعتقد أنه لا يوجد أصعب منها، إن في هذا القفص قفص الاتهام اثنين من إخوتي، اضطرتني الظروف إلى أن أدافع عنهما وأنا أعي وبكل تأكيد أنهما مدانان، ولكن من دفعهم إلى هذا الوضع وحياة الإجرام هي امرأة ورجل، امرأة رأت أن كثرة الإنجاب هي الوسيلة الوحيدة لربط الزوج كما يقولون، على الرغم من أنها تعول ثلاث فتيات، لكنها كانت حاملًا أثناء سفر زوجها للخارج، وهو يحاول أن يأتي بعد سنوات الشقاء بالمال ليسد حاجاتهم، وعندما قالت له إنها حامل كانت فاجعة له، إذ قال لها أن تتخلص من الجنين ولم ينتبه إلى إرادة الله والجُرم الذي يطلبه منها.
ووسوس لها الشيطان وجاء في صورة إنسانة أدخلت في رأس الأم أن تبيع جنينها، والذي هو ذكران توءمان، لسيدة ثرية وزوجها رجل الأعمال اللذين لا ينجبان، وبهذا تتخلص من بطش زوجها وتفعل له ما أراد، وتجني أيضًا المال من صفقة البيع، وبالفعل تمت الصفقة الشنيعة، وكان نتاج هذا هذان الشابان واللذان استخدمهما السيد جوهر والسيدة ثريا بعد ذلك في عملياتهم المشبوهة، وعاشوا بالخارج في نعيم، وعاشت السيدة فتحية وزوجها بعد أن عاد إلى أرض الوطن وأصبح أيضًا رجل أعمال، لا يدرك ما حدث، وأن له ابنين آخرين باعتهما زوجته خوفًا منه ورغم أنه أرغمها على الإجهاض، بعد ذلك أنجب منها توءمين آخرين رجلين، أولهما أنا هشام المحامي، وأخي

الضابط عمرو وهو من قام بالقبض على أخويه نادر وعادل، وهما الآن في قفص الاتهام، أحاول أن أقول فقط في النهاية بعد كل ذلك أن الجاني الحقيقي في هذه القضية هو السيدة فتحية والسيد علي زوجها؛ والدي ووالدتي، والدتي التي باعت أبناءها، وزوجها الذي دفعها إلى ذلك ولم يلتفت إلى حكمة وإرادة الله.
ورغم كل ذلك، فإن الله غفور رحيم، رزق عليًّا بأبناء صالحين وبمناصب مرموقة، وجعله رجل أعمال معروف. ولكن جاء اليوم لمحاسبته على خطئه ليرى اثنين آخرين من أبنائه في قفص الاتهام ملقبين بلقب مجرمين، إن ربك لبالمرصاد.
سيدي القاضي، أطلب من عدالتكم أخذ عين الاعتبار والرحمة والشفقة بهذين الشابين لأنهما نتاج أخطاء الكبار، ولو أنني أحكم دون قانونٍ أو مادةٍ لحكمت على السيد علي والسيدة فتحية بدلًا من هذين، وأخيرًا دائمًا القانون يحكم بالأدلة والمستندات فقط، ولكن لو نظرنا إلى الحقيقة الغائبة لبرأنا المتهمين الموجودين في قفص الاتهام وعاقبنا أناسًا مجهولين أجرموا بالفعل، ولو أنني أستطيع لوضعت نصًا يعاقب المجهول!»
- «حكمت المحكمة.....»

النهاية

قالت لا

مقدمة

ألم تعن كلمة «لا» الرفض؟ ربما كانت كلمة ولكنها تعني الكثير. عندما تقف المشاعر والأحاسيس ويكون البديل حب النفس وطمع الجسد، عندما تكون الشهوة وحب الامتلاك هو الهدف فقط من الجسد، فهناك أمران: إما أن يندمج الجسد مع الجسد الآخر، أو يرفض أحدهم الآخر ويقول لا؛ وحينذاك يكون تفسيرها الرفض المطلق، وعلينا نحن البشر أن ندرك ذلك جيدًا، ونسمع ونوافق لعين العقل، نرى ونشاهد ونميز. إما أن نتقدم ونتجاوب مع الأمر، أو نرفض ونوافق ونحترم كلمة لا!

المؤلف

***

لم تكن أحلامي كثيرة لأنني لم أكن متشبثة بها، لم يكن اسمي على مسمى، وكنت أتمنى لو بيدي تغييره من «أحلام» إلى أي اسم آخر، فدائمًا كان يؤرقني هذا الاسم، وأشعر أنه خيالي الأسود.
كنت أترك أحلامي للظروف، فتحقيقها ليس بالأمر السهل، وخاصة أنني من أسرة متوسطة الحال، تعيش اللحظة واليوم فقط، لا تأمل سوى الحياة الكريمة، نأكل ونشرب ونلبس في أضيق الحدود.. فأنا الفتاة الوحيدة لوالديّ، فأبي وأمي حريصان كل الحرص لأكون سعيدة، وليسا يملكان سوى إعطاء النصيحة، هذا بعد عناء العمل طيلة سنوات عمرهما، والقليل من معاشهم الحكومي يستندون إليه باقي حياتهم، كان مستقبلي نصب أعينهم، وكنت أحاول ألا أزيد على ما معهم جنيهًا واحدًا؛ فما نملكه من مال للاحتياجات الأساسية فقط، ولا يوجد باقٍ لأية إضافات أخرى.
فكيف أحلم وأتمنى وأنا فقط أتمنى ألا تزيد متطلباتي على الحد المسموح به؟
هذه كانت معيشتي مع والديّ، كل ما يتمنونه أن يجداني سعيدة متعلمة متفوقة لضمان مستقبلي وتحقيق ما أتمناه، رغم أنني أقلعت عن التمني والأحلام.
كان تفكيري وكل ما في خاطري هو إكمال دراستي، وأن أكون عند حسن ظنهم وبدون أي عائق أو تكلفة، وهذا ما كان يشغل ذهني دائمًا، فليس هناك أي بديل للتخفيف من مجهودي المضاعف في الدراسة بدون أي مساعد لي، من دروس خاصة أو كتب خارجية، وما كان من والديّ إلا الدعاء لي ليل نهار.
كل ما يحدث في حياتي أتحمله وأحاول السيطرة عليه إلا شيئًا واحدًا لم أستطع تغييره ويؤلمني، ألا وهو جمالي**!** جمال وجهي وعينيَّ وشفتيَّ وجسدي الممشوق ونعومة شعري، كل شيء، كل شيء كان يحرك الغرائز ويثير المشاعر، ليس لي في الأمر شيء، أحاول بكل الطرق ألا أزيد هذا الجمال بالتزين والملابس وكنت طبيعية جدًّا،

فضلًا عن التوفير في كل شيء، ولكن كل ذلك لم يخفف نظرة الآخرين لي.
لم أفكر لحظة واحدة أن الجمال يصبح أحيانًا نقمة لصاحبه، أقلل الزيارات لأي أحد، حتى شراء الاحتياجات الهامة للمنزل، كانت للضرورة حتى لا تصيبني الأعين بسهامها التي تخترق جسدي.
مرت سنوات الجامعة عصيبة جدًّا، أحارب في كل الاتجاهات ولا أترك نفسي أو أنقاد لأي حوار أو همس أو نظرة، كل ما أريده وأسعى إليه هو الانتهاء من دراستي حتى أوفي بوعدي لأسرتي وأساعدهم، فقد زادهم المرض وأصبح المال لا يكفي أو يسد متطلباتي واحتياجات المنزل، والأدوية التي ارتفع ثمنها.
كل ما أريده فقط أن أسد شيئًا من تعبهم ومعاناتهم معي طيلة سنوات عمري وشبابي، لا أنظر إلى شيء يزيد على الحد المسموح به، إذا رأيت ملابس جميلة تشدني أو حقيبة يد أو حذاء، أقول لنفسي «لا» وكأنني أرد على شخص ما، لان «لا» لا تعنى حرف لا، ولكن تعني أمورًا أخرى وأشياءَ تترتب عليها حياة، تعني الكثير، وليست مجرد حرف فقط.
حتى جاءت الساعة الحاسمة التي شاهدت فيها إعلان نجاحي وتفوقي، كنت أعتقد أن ساعات الألم والانتظار والتحمل قد انتهت بنهاية دراستي الجامعية، إلا أن ذلك لم يحدث، فبدأت صراعات أخرى في الحصول على وظيفة، وما أرهقني وزاد من حملي هو جمالي الذي كان عائقًا في الحصول على وظيفة، ليس غريبًا ما أقوله ولكن له صلة وطيدة بالحالة والرغبة في العمل؛ فكلما حصلت على عمل بصعوبة بالغة كلما رأيت غزلًا ونظرات تنهش في جسدي، تحرقني وتصل إلى ذروة الشهوة، يراودني الكل عن نفسي ويقول:
- «أنا ممكن أخليكي مديرة المكان بس تسمعي الكلام وتنفذي اللي هقولك عليه من غير كسوف»
ويغير الحوار آخر قائلًا:
- بصي أنا هديكي اللي انتي تقولي عليه، بس تعملي اللي هقولك عليه»

ويرد آخر:
- «نتجوز عرفي وهديكي اللي انتي عايزاه بس في السر»
ومرت العروض عليَّ وطلباتي كلها مجابة إذا قلت نعم وأوافق، ولكنني في كل مرة أقول «لا» وأرفض، وكانت «لا» كما قلت لا تعني حرفًا فقط، لكنها تعني سطورًا من الحالات الكثيرة والمواقف والمبادئ، حكايات، مسيرة حياتي.
مرت سنة كاملة، كنت أرى الدنيا وحياتي بشكل مختلف، كرهت الكثير من البشر، فكلما نظرت في أعين أحدهم لا أرى إلا أنني فريسة لهم، يريدون فقط نزع أنوثتي وشرفي واحترامي لنفسي، ولا يوجد لدي سلاح سوى كلمة واحدة، «لا»، الرفض الدائم.
وتكاثرت الأحمال التي كنت أتوقع أن تنتهي في المستقبل وتقل، بل العكس ما حدث، زادت حينما زادت أمراض الشيخوخة على والديَّ وأصبح العلاج هو أساس احتياجاتنا المنزلية وأكثر من الطعام والشراب، فلا يأكلان أكثر ما يتناولان العلاج الذي تعدى قيمة معاشهما مجتمعين بخلاف التحاليل والأشعة، وأصبح المعاش لا يفي بالاحتياجات، وأصبح الحل المؤقت هو الاقتراض من الآخرين، وكانت خطوة سيئة في حياتنا فلم نعتد ذلك، كيف نقترض ومتى نسد؟ وأصبحنا مدينين إلى حد ما، وكل ما فات من مجهود وحمل ثقيل على والديَّ وعليَّ بلا فائدة وهباء؛ فليس لدينا أية حصيلة ادخار.
وفي لحظة جاء في خاطري وأنا أشاهد فيلمًا سينمائيًّا في التلفاز، وكان المشهد عن إحدى الراقصات التي ينهال عليها المال وهي ترقص، وتخيلت نفسي وأنا أرقص بدلًا منها، وسألت نفسي: هل هذه الراقصة قالت «نعم»، أم قالت «لا»، وهل كلمة «لا» تصلح مع هذه الوظيفة، وهل هي وظيفة حقًّا؟ وهل هي مقبولة أو مرفوضة؟ وما الذي جعلها تكشف عن جسدها لهذه الدرجة؟ وما الدوافع؟ وكأنني أمام جريمة أحللها. أسئلة كثيرة راودتني وانتهيت منها على سؤال آخر: لماذا أفكر في ذلك وأسأل؟ فلم أستطع الرد والإجابة على نفسي؛ فبدأت أهز رأسي، حتى انفض ما جاء بفكري.

وفقت على صوت والدتي وهي تتألم وأنا عاجزة عن أن أفعل لها شيئًا وخاصة أن ما يطلبه الطبيب من أشعة فوق طاقتنا، ورأيت نفسي بجانب والدتي تهمس لي:
- «اوعي يا بنتي لما أموت تعيطي عليَّا، انتي عملتي اللي عليكي واتخرجتي وبقيتي البنت الجميلة في كل حاجة، واللي أي أب وأم يتمنوها، وإحنا كبرنا خلاص وشكلي كده هموت، خلى بالك من أبوكي وهوّني عليه غيابي»
وانهمرت الدموع على خدي ساخنة كأنها ماء مغلي ولم أقل لها إلا:
- «بعد الشر عنك يا أمي، ماتقوليش كده، ربنا يديكي الصحة وطول العمر»
- «كنت أتمنى أشوفك عروسة بس مش هلحق، علامات الموت أنا حاسة بيها وأيامي قربت»
كلمات أمي كانت صاروخية مميتة لقلبي وعقلي، ولحظتها قررت تحمل أي شيء مهما كان مقابل شفاء أمي وأبي، وما كان مني إلا أن أكون بديلًا لمشهد الراقصة، فرأس مالي جمالي والذي كنت أبغضه، وأجبت السؤال الذي كنت أسأله: لماذا وصلت الراقصة لهذا الحد وكيف؟ ورأيت أن لها مقومات، فرأس مالها هو جسدها ولم أفكر في غير ذلك، وكأن ملجئي الوحيد هو الصالات التي بها الراقصات.
وقدمت نفسي ووافقوا على الفور وكأنهم ينتظرونني بفارغ الصبر، وأخذت أول مرتب من الرقص، ورغم أنني لست خبيرة لكنى كفتاة أستطيع الرقص مثل أي بنت، ساعدني كثيرًا جمال جسدي؛ فحتى لو وقفت صامتة سينجذب الرجال.
وبدأت علاج أمي وأبي وأنا أعلم أن نهايتهما ستكون على يدي لو علما بهذا السر وعملي غير الطبيعي، وكنت حريصة ألا يحدث ذلك، وألا يعلم أي أحد من العاملين بمكان منزلي؛ حتى لا يأتي إليَّ أحد صدفة ويكشف المستور، فكنت مثل الهاربة من حكم الإعدام وأزعم في الحي وبين الجيران أنني أعمل في مستشفى خاصٍ بعيدٍ جدًّا، حتى يلتمسوا لي العذر في التأخير، وحتى يكون التأخير طبيعيًّا لمثل العاملين بالمستشفيات.

وكلما فكرت فيما أنا فيه، بررت تبريرًا واقعيًّا، كيف أترك والديَّ اللذين تعبا من أجلي يموتان لعدم قدرتنا على شراء الدواء؟ ذلك فقط كان يهون عليَّ ما أنا عليه، وكان العمل في البداية مجرد رقص فقط، ولكنني كنت أشك في ذلك، كيف يتركني صاحب العمل؟ فهل من المعقول أن أجد شخصًا يراني ويتمسك بضميره أو أخلاقه، أو ينظر إليَّ نظرة عابرة كأخت مثلًا؟
أشك في ذلك، ولكن كنت أتوسم فيه ومن حولي الثقة والأخلاق، ولكن أي أخلاق في مكان يملؤه الخمر والعربدة حتى آخر الليل، أو إنهم ينتظرون فقط أن أتذوق طعم المال ولا أستطيع الاستغناء عنه حتى تبدأ المساومة؛ فالكل يتخيل أن الراقصة من السهل لها التفريط في نفسها والموافقة على أي شيء من أجل المال، فمثلما عرت نفسها فلا مانع أن تكمل باقي التعرية.
وهل بعد كل ذلك تقول للقبلة «لا»، وللمضاجعة «لا»، وللمس جسدها «لا»؟
مرت شهور قليلة وأنا حريصة على ألَّا أصطدم بأحد يطلب مني شيئًا مشينًا رغم كلماتهم المريبة التي أسمعها، لكنني كنت في وضع الأصم دائمًا.
- «جسمك نار، يخرب بيت جمالك، أموت وألمسك يا قمر»
وأشياء أخرى من هذا الحوار المؤلم للسمع، وما أكثر الآلام، بعد وفاة والدتي التي كانت كل شيء في حياتي، رغم ارتياحي النفسي وضميري بعدما فعلت لها كل ما بوسعي، ماتت القلب الحنون، ولم يتبقَ لي في الدنيا سوى أبي الذي تألم كثيرًا بعد وفاة والدتي، ليس من المرض، ولكن من فراق أمي التي تركت سوادًا معتمًا على البيت كله، حتى فارق الحياة هو الآخر فلم يتحمل الحزن عليها؛ فهي رفيقة حياته.
وقررت أن أتراجع عما فعلت؛ فما كنت أفعله كان من أجلهما وقد ماتا، واكتفيت بمعاشهم، فهما كانا السند لي في حياتهم وبعد وفاتهم، وكان القرار صادمًا بالنسبة إلى صاحب العمل، ولكنه وافق، وكنت أشك في الموافقة وأنه يدبر شيئًا؛ فغريب جدًّا منه بعد أن كان

يراودني عن نفسي ويطلب صراحة الجماع بيني وبينه، فهل من المعقول أن يتركني وأنا أدر عليه كثيرًا من المال؟ ولكن رغم شكوكي توسمت فيه الخير، وآخر يوم لي طلب منى أن أنتظره في غرفتي حتى الساعات المتأخرة من الليل حتى يدبر لي حسابي، وغلبني النوم، وشعرت بيد تتحسس جسدي، وفوجئت به، فنهضت سريعًا، أسأله:

- «انت عايز إيه؟»

- «عايزك، أنا بقالي شهور بستنى اليوم ده وبتتقلي عليا، انتي فاكرة نفسك إيه؟ انتي جسمك باين لكل الناس؛ يعني مش فارقة لو بان ليا الباقي، وبعدين أنا مش عايزك لحد غريب، أنا عايزك ليا أنا لوحدي، انتي مجنناني ومش هسيبك.

واوعي تفتكري في حد هينقذك مني، كل الموجودين مشيوا من هنا، لو صرختي ماحدش هيسمعك، ده انتي الفرخة اللي بتبيضلي بيضة دهب، أسيبك إزاي؟»

حاولت تهدئته حتى أهرب منه:

- «طيب خلاص هكمل شغل معاك»

- «هتكملي برضاكي أو غصب عنك، بس بعد ما أقطفك»

حاولت الهروب فأشهر مسدسه في وجهي وطلب مني:

- «عايزك تقلعي كل هدومك، واسمعي الكلام، انتي يا تبقي بتاعتي النهارده يا إما هاموتك، وبرضه هاتبقي بتاعتي حتى وانتي ميتة»

وأدركت حينذاك أن السكر والمخدرات سيطرا على عقله ولا مفر من أن أكون له، أو أحقق ما كان يتمنى لي والداي وهو البنت الشريفة العفيفة.

- «لا، أنا مش هعمل اللي انت عايزه ده حتى لو هموت، بإيدك أو القانون، «لا»، لا وألف لا، مش معنى إني رقاصة أبيع نفسي، لا، لا...»

فرد قائلًا:

- «لا، أنا محدش يقولي لا، يعني إيه لا؟»

- «يعني «لا» يعنى أرفض أكون ليك، ماتعرفش يعني إيه لا، ماتعرفش يعنى إيه رفض؟»
- «لا ماعرفش، اعملي اللي قلتلك عليه، هقتلك»
فتقدمت منه وأشعرته بالرضا وبابتسامة:
- «أنا بهزر معاك اللي تشوفه»
ابتسم وأنزل مسدسه، وتقدمت إليه وأشعرته بأنني أفتح أزرار البلوزة؛ فنظر إليَّ في شهوة غريبة وعيناه محمرتان وكأنه يستعد لأن يلتهمني، ومددت يدي إلى التسريحة في غفلة منه والتقطتُ المقص الموجود ووضعته سريعًا وبقوة إلى رقبته التي نفذ منها شلال من الدماء.
حاول أن يضربني بالمسدس وهو يقترب من الموت، ولكنني أخذته من الأرض بعد أن وقع، أكملت ضربه بالرَصاص حتى فارق الحياة.
وتخيلت شريطًا من المشاهد والذكريات بين أبي وأمي وكأنني أستعد لرؤيتهم وعلى وجهي ابتسامة عريضة، لست خائفة. لأنني أعلم أن القانون لا يعرف أنني قتلت من أجل...؟ رقصت من أجل....؟ رفضت من أجل...؟ قبلت من أجل...؟
ومن هنا سيدي القاضي، أقول شيئًا واحدًا فقط، ألم تعنِ كلمة «لا» الرفض؟ ألم يكن الرفض دافعًا لأن أقتل هذا الرجل الذي كان يدبر الواقعة حتى يغتصبني غصبًا عني، ولو كنت قبلت أليس هذا عملًا مشينًا في نظر القانون، أم عاديًّا طالما بموافقتي؟ فعند الموافقة لا يوجد حكم طالما برضاي، فماذا سيحدث إن رفضت وقلت «لا»؟ وقتلت من أجل شرفي، ماذا سيحدث؟
النهاية

اغتصاب بنت مسئول

مقدمة

عندما تكون المسئولية في مكان، في البيت، في الشارع، في العمل، وعلينا أن نلتزم ونحتاط ونكون قادرين على أن نتعامل مع هذه المسئولية في كل الظروف، المال والجاه والمنصب أداة وليست لكل الظروف والحالات، بل أحيانًا تكون أشياء عاديَّة جدًّا، فاختلافهم فقط في أمور معينة، ولكن طبيعة الحياة والتعامل والبشر واحدة، ويجب ألا نفرق في الطبيعة والتقاليد والعادات مع من يمتلك المنصب أو المال، ومع المعدم الفقير؛ فنحن يمتلكنا قانون واحد وشريعة ومبدأ واحد لا يعرف المنصب أو المال أو الجاه، وعلينا أن نعي ذلك جيدًا، فالجريمة لا تفرق بين غني وفقير، وأن نسير على خطى جيدة ونعلم الخطأ من الصواب هو مبدؤنا في الحياة حتى نصل إلى الطمأنينة.

المؤلف

***

على ضفاف النيل تظهر إحدى الڤيلات بجمال مظهرها الخارجي، تفتح الأبواب لدخول سيارة فارهة حيث يتواجد الحرس بالخارج والداخل يرتدون بدلات ويحملون السلاح، تلف السيارة بالداخل حول حمام السباحة المستدير، تتخطى سيارتين لا تختلفان في جمال الشكل والموديل، بل تختلفان في الماركة، تمتاز الڤيلا بحديقتها المملوءة بالورد، يسقي عم ناصر الجنائني وردها، يبلغ من العمر الستين عامًا، وجهه بشوش، علامات الطيبة والزمن الجميل تظهر واضحة على وجهه، هدوء تام حول المكان يتخلله صوت العصافير والسماء الصافية ينبعث منها ضوء الشمس الساطعة، الجو معتدل في فصل الصيف، وعلى مقربة من شباك الدور الثاني للڤيلا وفي حجرة أدهم بك الجبالي الذي تعدى الخمسين من العمر، ذا الهيبة والوقار، جسده رياضي، يرتدي نظارة طبية وبدلة وربطة عنق، الحجرة واسعة ذات أثاث كلاسيكي فاخر: أنتيكات بالمكان وكرسيين ومنضدة صغيرة جانبًا، يمد يده ويحتسي شربة من فنجان شاي بجانبه، يطرق باب الحجرة ويدخل أحد الرجال يرتدي بدلة بدون ربطة عنق، يبلغ أدهم بك بأن السيارة جاهزة للخروج، ويخرج من الحجرة بينما تدخل زوجة أدهم بك، سيدة تعدت الأربعين من العمر ترتدي قميص نوم وعليه «روب»، شعرها عارٍ أصفر، بيضاء جميلة الوجه لافتة للنظر، مشرقة كإشراقة الشمس أو نجمة متلألئة في السماء الصافية، وتدعى ابتسام، يسألها أدهم عن ابنته ليلى وهو يرتدي المعطف، ترد عليه ابتسام قائلةً:

- «ما انت عارف، هي ليلى بتصحى دلوقتي؟ وخصوصًا إنها خدت الأجازة يعني تصحى براحتها»

ينظر لها بدون اقتناع ويخرج من الحجرة، وتتابع ابتسام خطواته حتى ينزل الدرج الداخلي من الدور العلوي، وهو يتحدث إلى ابتسام:

- «انتي مصدقة نفسك؟ أجازة إيه اللي خدتها، وقبل الأجازة، كانت بتصحى بدري؟ ليلها نهارها ونهارها ليلها أنا مابقيتش أشوفها خالص. في حد ما يشوفش بنته وهي معاه في مكان واحد؟ ماسكة

التليفون طول النهار والليل وعلى النت وحياتها ووقتها بيضيع من غير أي فايدة»
يتقدم من الباب الخارجي للصالة ويكمل حواره:
- «طب أنا راجل مسئول، الوقت مش ملكي آجي بالليل الصبح في أي وقت غصب عني، أنا ملك للدولة والدولة ملك للشعب.. لكن هي إيه المفيد اللي بتعمله؟ ده التليفون بتاعها بقى أفضل وأهم حاجة عندها»
تنظر إليه ابتسام بابتسامة هادئة وكأنها لا تستطيع الرد، فصمتت حتى تجعله يفيض بغضبه الرافض لتصرفات ابنته. يتقدم من عم ناصر قبل ركوب السيارة التي فتح بابها السائق، ولا يزال واقفًا منتظرًا دخول أدهم بها، إلا إنه ينتظر الحوار بين ابتسام وأدهم بك حيث أدهم يوجه الحوار لناصر:
- «إزيك يا عم ناصر النهارده وإزاي أولادك»
- «الحمد لله يا بيه كويسين»
- «أنا عاوز ولادك دول يشدوا حيلهم في التعليم عشان يبقوا حاجة كويسة، يسندوك وينفعوا نفسهم ها، العلم هو أقوى سلاح، أحسن من السلاح اللي بيضرب نار.. فاهمني يا عم ناصر؟ اوعى تفتكر إن الحرس والسلاح اللي ورايا ده هو اللي بيحميني، لا أنا ربنا هو الحامي، أنا الحمد لله مابعملش حاجة غلط عشان أخاف والناس كلها بتحبني، بس هو روتين عمل وخلاص واللي مابيعملش حاجة غلط مايخافش من أي بني آدم، ربنا هو الحارس»
يرد عليه ناصر داعيًا بحب رافعًا يده إلى السماء:
- «ربنا يخليك ويحبب فيك خلقه ويديك على قد نيتك قادر يا كريم»
يدخل أدهم بك السيارة ويغادر بينما ينظر إليه ناصر بابتسامة عريضة تنم عن الرضا والإعجاب بشخص أدهم بك، تفتح أبواب الڤيلا لمغادرة السيارة، وتفتح ابتسام الشرفة بحجرة ليلى والتي تطل على الحديقة مباشرة حيث ليلى غارقة في نومها، يدخل ضوء النهار بداخل الحجرة وتحاول ابتسام أن توقظ ليلى من نومها، إلا إن ليلي تفتح عينيها فالضوء يقلقها، تضع وجهها تحت الوسادة وتغطي

وجهها، تشد ابتسام الغطاء من عليها وترفع الوسادة ليظهر وجه ليلى، تنهض وتجلس القرفصاء.
ليلى جميلة الوجه، شعرها أصفر كشعر والدتها ناعم حريري، ترتدي قميص نوم، جسدها فاره، جذابة جدًّا، تتذمر قائلةً:
- «إيه يا ماما في إيه، بتصحيني ليه بدري كده؟ أنا مش خدت الأجازة أصحى براحتي»
ترد عليها ابتسام باستغراب:
- «نعم، بتقولي إيه؟ وانتي كنتي في الأيام العادية بتصحي بدري، يا دوب بتروحى الجامعة بطلوع الروح وكل أيامك ليلك نهارك ونهارك ليل زي ما بابي بيقول، على فكرة هو زعلان جدًّا منك، تقدري تقوليلي انتي ماشوفتيش بابي من كام يوم؟ تصرفاتك غلط وحياتك مقلوبة، أنا مش عارفة أقوله إيه، كلامه كله صح»
ترد عليها ليلى قائلةً:
- «طب ممكن تقوليلي إيه المطلوب عشان أعمله؟!»
- «تبقي زي كل البنات، ولا عشان بنت وحيدة وبنت مسئول كبير خلاص تتصرفي زي ما انتي عايزة.. كده غلط، روحي اغسلي وشك وافطري وكلمى بابي في التليفون وصالحيه»
يذهب أدهم إلى مقر عمله، يجلس وراء مكتبه في حجرة كبيرة بها طاولة اجتماعات وأنتريه كبير، وعلى المكتب علم مصر، أمامه أوراق يوقع عليها ويقف بجانبه اثنان من الرجال يرتديان بدلات كاملة، حيث يوجه حواره إلى أحدهم قائلًا:
- «أنا مش بحب الكلام على الورق، بحب الترجمة والشغل عملي»
يقف ويشير إلى كرسيه وهو يعطي لأحدهم الأوراق شارحًا:
- «المكتب ده والكرسي ده مش منصب بس، دي مسئولية، ومسئولية كبيرة لازم نكون كلنا قدها مش أنا لوحدي، اللي موجود على الكرسي كلنا، وكلنا مسئولين مسئولية واحدة.. أي إهمال أو تقصير من أي فرد معناه انهيار الكرسي ده، وده مش معناه انهياري أنا لوحدي لا، معناه انهيار حاجات كتير لازم نحافظ عليها، اتفضلوا»
يخرجان ويدخل أحد الرجال، يكمل أدهم حواره:

- «إيه، أوراق تاني؟ هات اللي عندك»
يضع الأوراق أمام أدهم، يكمل أدهم حواره وهو يوقع على الأوراق:
- «الأجازات لازم تكون بسبب معقول وخصوصًا اليومين دول، الجرايم كترت في البلد نتيجة الظروف اللي بتحيط بالمجتمع، ومحتاجين كل فرد ومسئول في مقر عمله وفي الشارع أكتر من مكتبه»
وبقيلا أدهم بك تنادي ليلى من شرفة حجرتها على عم ناصر الجنائني وتطلب منه أن يعد لها باقة ورد من أجل عيد ميلاد صديقتها رحاب، بابتسامة عريضة يبشرها ناصر بأنه سيعد لها أجمل باقة ورد، تبادله الابتسامة وتشكره بينما تدخل إلى حجرتها متجهة إلى دولاب ملابسها، تلتقط منه العديد من الفساتين وتضعها على السرير، تنظر إليهم وتلتقط واحدًا تلو الآخر لترى أيها أفضل لهذا الاحتفال، تنظر إلى نفسها في المرآة وتتغزل في جسدها وتتطاير بشعرها وتهز رأسها معجبة بنفسها.
تجلس على السرير وتطلب رقمًا من هاتفها المحمول، قائلةً:
- «صباح الخير يا نادر»
تتبدل ابتسامتها وعلى وجهها العبوس وكأن أحدًا صدمها بالرد وشق رومانسيتها والبهجة التي كانت عليها، تغلق الهاتف دون أي حوار، تدخل عليها ابتسام وتلاحظ التغيير فتسالها؛ فترد ليلى:
- «اتصلت بنادر، لسة بقوله صباح الخير اداني موشح رسمي عشان ماتصلتش بيه الصبح، انتي مش قد المسئولية وأنا في السلك الدبلوماسي وهتكوني زوجة رجل مهم في المستقبل والمواعيد مهمة ولازم تهتمي بيا وحاجات كتير، وراح قافل السكة، هي دي طريقة راجل مهم؟»
حاولت ابتسام امتصاص غضبها وظلت تهون عليها وتبرر بأن من يعمل في هذه المناصب منضبطون وتهمهم المواعيد والقوانين والروتين، وأن نادر في نفس دائرة المجال وابن رجل مهم أيضًا، وعليها أن تعي ذلك ولا يكون هذا سببًا في مشكلة كبيرة بينهما، وأن تعيد ترتيب حياتها على ظروفه وحياته العملية، استمعت ليلى إلى

والدتها وكأنها لم تقتنع وبادرت بالتقاط الهاتف مرة أخرى، وفي مكتب أدهم بك يرد على الهاتف قائلًا:

- «أهلًا حبيبتي، أنا مش زعلان منك ولا حاجة، أنا زعلان عشانك، النجاح في الدراسة مهم طبعًا بس برضه لازم تكوني ناجحة في الحياة كمان، في حاجات كتير لازم تكوني ناجحة فيها»

أثناءها يدخل عليه أحد الرجال ويدعى عمر، يكمل أدهم حواره مع ليلى ويشير إلى عمر بيده أن يجلس.

- «فهمتي قصدي إيه يا حبيبتي؟ لازم تستغلي وقتك في حاجات مفيدة، إيه ده عيد ميلاد رحاب النهارده؟ سلميلي عليها وقوليلها كل سنة وانتي طيبة، وعلى عمك مراد وطنط هدى، ولو قدرت آجي هاجي، وماتتأخريش بالليل وخلي بالك من نفسك، مع السلامة يا حبيبتي»

ينهي أدهم حواره مع ليلى ويكمل مع عمر:

- «إنما قولي يا عمر، انت ماتجوزتش لحد دلوقتي ليه؟»

يرد عمر قائلًا:

- «أنا يا أفندم اتجوزت الشغل، وأي واحدة هتجوزها هظلمها معايا، أنا بنزل الصبح ماعرفش هارجع ولا لأ، وصعب جدًّا معاليك ألاقي واحدة مجندة زيي كده في خدمة الوطن»

يشرح له أدهم بدايته منذ الصغر قائلًا:

- «الكلام ده كلام أفلام، الأعمار بيد الله.

تعرف يا عمر أنا اتجوزت وأنا شاب، خطبت بعد ما خلصت الكلية.

كان أبويا العمدة شايف إني ذكي وقوي ولماح، ولإني ابنه الوحيد كان متهيأله إن المناصب القوية هي اللي ممكن تراعي مصالح أراضيه ويحل مشاكل البلد.

كان تفكير بسيط، كان متخيل له إنه الصح، فاكر إن النفوذ والمال بس هما الأقوى في حياة الإنسان، بس فعلًا كان عنده بعد نظر سليم وده اللي خلاه يدخلني كلية قمة، وكان سهل نتيجة إني كنت مجتهد وشاطر في الدراسة، بس لما كبرت وبقيت في منصبي ده عرفت

وتأكدت إنه كان صح، لإن الزمن ده فعلًا عصر القوة والنفوذ والمال هم المسيطرين على البلد»
ينهض من مجلسه وينهض عمر احترامًا لأدهم بك فيربت على كتفه ويجلسه مرة أخرى.
- «المهم عمي رحب أوي بيا لإنه ماعندوش ولد وكان بيتمنى يخلف زي أخوه العمدة، بس إرادة ربنا، كان بيعتبرني زي ابنه تمام، وبعد ما اتخرجت أبويا وعمي عملوا حفلة تخرج أحسن من حفلة الكلية، حضرها كل عمد البلاد المجاورة واتجوزت الأسبوع اللي بعد الحفلة بنت عمي، ساعتها فكرت زيك كده، إنها ممكن ما تتحملش المسئولية زي ما انت بتقول، وخصوصًا مسئولية رجل مهم في منصب محتاج حياة خاصة، وكان من حسن حظي إن أول تعيين ليا ونقل في القاهرة، واعتبرت إنها مرحلة اختبار ليها، نقلة كبيرة من الأرياف للقاهرة، لكن بصراحة اجتازت الاختبار بنجاح كبير ماكنتش أتوقعه واعتبرت كل ترقية احصل عليها وشهادة تقدير هي كمان بتاخد زيها»
يرد عمرو:
- «ربنا يخليكم لبعض يا أفندم»
ويكمل أدهم بك:
- «انت رجعتني يا عمر لزمان أوي، أصل الحقيقة انت الوحيد اللي بشوف فيك نفسي.. نفس طموحك ونفس جرأتك وإقدامك وتضحياتك، حاجات كتير أوي، مش شكر فيك لكن هو ده إحساسي فعلًا»
يبتسم عمر ويرد قائلًا:
- «ده شرف كبير ليا يا فندم وسعادتك تستحق كل خير، مفيش حد في الدولة مايعرفش مين أدهم بك فهمي»
فيرد أدهم:
- «هتكمل سعادتي يا عمر بعد ما أشوف بنتي ليلى عروسة في بيتها وأتطمن عليها مع خطيبها، هو كمان رجل أعمال في السلك الدبلوماسي»

يسمع عمر ويتغير وجهه إلى الضيق وكأنه سمع خبرًا مزعجًا له، لاحظ أدهم ذلك وسأل عمر عن التغيير، إلا أن عمر لم يرد بإجابة مريحة. شك أدهم في الأمر وتغاضى عن الاهتمام بالسؤال ربما تذكر عمر شيئًا أزعجه، وسأله أدهم:

- «إنما قولي، انت كنت جاي ليه، في حاجة؟»

يتذكر عمر سبب مجيئه وبتوتر يتذكر:

- «تمام يا أفندم، معايا أوراق مهمة لسعادتك»

يندهش أدهم بك، وباستغراب:

- «انت في إيدك الأوراق وأوراق مهمة جدًّا وناسي انت جاي ليه؟ الظاهر إني حسدتك لما قلت عليك ذكي ومجتهد، عمومًا هات اللي معاك وريني في إيه؟»

كل ذلك وما زالت ليلى تستعد للذهاب إلى صديقتها رحاب للمشاركة في عيد مولدها بڤيلا والدها مراد عامر وحرمه السيدة هدى ناصف، حيث تتحاور ابتسام مع هدى والدة رحاب وتعتذر لها على عدم حضورها حفل عيد الميلاد، حرصًا على انتظارها أدهم بعد حضوره من عمله، وتعدها بأن الوقت لو كان مناسبًا ستأتي برفقة أدهم.

تغلق الهاتف وتوجه حوارها إلى ليلى وتسألها إن كان نادر سيحضر ليذهبا معًا لعيد الميلاد، وأن تتصل به مرة أخرى ليذهبا معًا، إلا أن ليلى ترفض هذا الاقتراح بعدما صدها في الهاتف المرة الأولى، وأنها ليست غلطة كبيرة تجعله ينفعل ويحدثها بهذا الأسلوب، وأنها حريصة على كرامتها ولن تتصل به حتى يتصل هو ويأتي لمصالحتها.

تركتها ابتسام وتركت الأمر بينهما حتى تسوي أمرهم، وطلبت منها أن يرافقها السائق حرصًا عليها، رفضت ليلى ذلك وأنها ستقود سيارتها بنفسها هذه المرة؛ فهي لم تعد صغيرة، وأنها بنت مسئول كبير فلماذا تخشى أحدًا، بررت ابتسام لها أنها لا تأخذ الأمور هكذا وأن ما تقوله غير صحيح، فالشارع لا يعلم من تكون ليلى وغير مكتوب على سيارتها أنها بنت مسئول، وأن الكل سواسية في الشارع وفي القانون والإجراءات.

صممت ليلى على رأيها وارتدت «جيب» قصير فوق الركبة و«سابوه»، حذرتها ابتسام من أن ملابسها غير ملائمة ولا بد أن تبدلها وخاصة أنها بمفردها، والملابس غير الملائمة تجذب الآخرين، إلا أن ليلى أصرت وفعلت ما أرادت وغادرت إلى حديقة الڤيلا، وقابلت عم ناصر وأعطاها الورد والابتسامة على شفتيه، استقلت سياراتها وغيم الليل على المكان في طريقها إلى ڤيلا مراد، تمتاز ڤيلا مراد بطراز جميل، لم تختلف كثيرًا عن ڤيلا أدهم، رحب مراد بها هو وزوجته هدى واحتضنتها رحاب. تبادلوا السلام والقبلات، أعطتها ليلى باقة الزهور وبيدها علبة أخرى صغيرة هدية لرحاب، تقدم شهاب خطيب رحاب وسلم على ليلى، الحفل مملوء بالضيوف وأغانٍ متلاحقة، تورتة عيد الميلاد ثلاثة أدوار وزينة في الصالة، سألت رحاب عن نادر خطيب ليلى ووضحت لها ما حدث في الصباح ومكالمته الغريبة لها، وأضافت:

- «بصراحة أنا انتهزت الفرصة أن نادر مش جاي معايا وقلت آخد راحتي شوية، صد نفسي على الصبح، وقفلت التليفون عشان مايتصلش بيا»

ويتداول الحوار بين مراد بك وشهاب خطيب رحاب حيث يحكي له عن الماضي وعَلاقته بأدهم بك، قائلًا:

- «رحاب وليلى أكتر من الإخوات، أنا ووالدها أدهم بك الله يمسيه بالخير أنتيم زي ما انتوا بتقولوا اليومين دول، أدهم بلدياتي وكان زمان في خلاف بين أبويا وأبوه العمدة، أبويا كان من ذوي الأملاك والأطيان وكان زمان الأرض عند الفلاحين عرض ولازم تحافظ عليها زي ابنك كده وما تفرطش فيها إلا بالدم»

وباستغراب يرد شهاب:

- «معقول للدرجة دي»

يكمل مراد قائلًا:

- «ده كان زمان يابني، دلوقت الواحد ممكن يفرط في أي حاجة، المهم أنا وأدهم ساعتها اتخرجنا هو في كليته وأنا في كليتي، بس

السن واحد، وكان الخلاف بين أبويا وأبوه لسة قائم وكان ممكن فعلًا يوصل للدم، بس أنا وأدهم كنا زي الإخوات وكان لازم نتدخل، وفعلًا جمعناهم وحاولنا بكل الطرق إننا نصلح بينهم، وحصل فعلًا، ونزلنا القاهرة سوا وكل واحد شاف أملاكه وحاله بعد الله يرحمهم، معلش يابني أنا دوشتك معايا، ماكانش وقته طبعًا عايز تروح لخطيبتك روح، رحاب بتشاورلك»

مرت الساعات سريعة، الشارع يخيم عليه الهدوء والسكينة المكان لا تحيطه المحلات الكثيرة، وهذا يجعل المكان مظلمًا بعض الشيء ولا يوجد أحد يسير فيه، فأغلب الكائنين بالمكان لديهم سيارات خاصة، عاد أدهم من عمله ليغير ملابسه ويرحل إلى مكتبه مرة أخرى، وسأل ابتسام لماذا لم تذهب مع ليلى؟ إلا إنها أفادت بأنها كانت تنتظره ربما سيأتي معها، لكن الوقت تأخر. وبمتابعة الحوار اشتد ضيقًا عندما علم بأنها ذهبت بمفردها ولم ترض بذهاب السائق معها، ولماذا رضيت ابتسام بذلك، بسطت ابتسام الأمر وأنها ستأتي بعد قليل، اتصل أدهم بليلى وكان هاتفها مغلقًا، وهذا ما جعله يشتد غيظًا.

بدل ملابسه وغادر دون أن يأكل أي شيء غاضبًا مما حدث، ولم يرضه ذلك، يذهب أدهم إلى مكتبه مرة أخرى وتمر الساعات.

تخرج ليلى بالقرب من مدخل ڤيلّا مراد وبصحبتها مراد وشهاب وهدى زوجة مراد إلى سيارتها، يصر مراد على أن يرافقها شهاب ورحاب إلى الڤيلا حيث إن الوقت متأخر، ولم ترض أو توافق ليلى على ذلك، وبثقة تبرر بأنها بنت مسئول كبير ولا يستطيع أحد الاقتراب منها. وكما وضحت ابتسام لها أن الأمر ليس كذلك، وضح أيضًا لها مراد نفس حوار ابتسام بأن عامة الشعب والخارجين على القانون لا يعلمون من أنت، وحتى لو كانوا يعلمون؛ فالمجرم أحيانًا لا يفرق بين مسئول أو مواطن عادي، وأن الأوقات عصيبة والليل يخفي كثيرًا من الخارجين على القانون.

بسطت ليلى لهم الأمر وأن المكان ليس بعيدًا وستطمئنهم عليهم بمجرد الوصول للڤيلا، تركتهم جميعًا واستقلت السيارة وغادرت المكان.

تسير ليلى في أحد الشوارع وتلتقط هاتفها من حقيبة يدها الموجودة جانبها ولكنه يقع في أرضية السيارة بجانبها فلا تستطيع التقاطه، الشوارع شبه مظلمة ولا يوجد إلا القليل من الأكشاك والمحلات أكثرها مغلق، إلا فقط الكازينوهات والمطاعم السياحية، وعلى أحد البارات يجلس تامر ويتحدث مع عماد وفي يدهما كأسان من الخمر، وعلى وجهه وطريقة حواره السكر، يتحاور تامر مع عماد قائلًا:

- «الظاهر إن البار ده مابقاش من مستوانا خالص، ولا إيه؟»

فيرد عليه عماد:

- «فعلًا أنا برضه بقول كده يا تامر»

وكأن تامر يتذكر شيئًا:

- «أيوه تامر، ما دام قلت تامر يبقى انت لسة في وعيك وماراحتش منك يا عماد»

يعلق عماد:

- «أيوه عماد هو عماد، أنا كنت ناسي وقاعد أقول أنا مين أنا مين»

يؤكد له تامر:

- «يعنى انت رحت بقى ودوخت أهوه»

ينفي عماد ما قاله لتامر:

- «لا أنا كنت بمتحنك بس، ده أنا اللي مجنني إننا لسة فايقين، بقولك إيه، تعال ناخد الواد خالد وشادي ونروح مكان تاني ندوخ فيه أنضف من هنا»

- «ياللا بينا»

يترنح الاثنان حتى يصلا إلى طاولة جانبًا وعليها شادي وخالد، اثنان من الشبان من نفس سنهم وبجانبهما فتاتان وأمامهم زجاجات البيرة وبعض أطباق الطعام، يخرجون جميعًا من الكازينو ويتجهون إلى سيارة شادي، يقودها ويذهبون جميعًا من أمام الكازينو مغادرين المكان مسرعين، سأل شادي عن زجاجة الخمر فأجابه عماد الجالس بجانبه بأنها في حقيبة السيارة.

وفي ذات الوقت ولا يزال أدهم بك بمكتبه ويدخل عليه عمر، يراه سارحًا يحدثه فلا ينتبه إليه، يلاحظ عمر ذلك فيكرر الحوار، فينتبه

أدهم إليه، يسأله عمر إن كان مرهقًا عليه أن يذهب إلى منزله، إلا إن أدهم يتحدث بتلقائية مع عمر قائلًا:
- «مش عارف النهارده حاسس بحاجة قالقاني ومخوفاني ليه، مش عارف في إيه»
يندهش عمر:
- «معقول يا أفندم؟ حاجة قالقاك ماشي، بس مخوفاك معقول معاليك تخاف؟ حضرتك مابتخافش أبدًا من أي حاجة»
يرد عليه أدهم قائلًا:
- «ليه، هو أنا مش بني آدم زي كل الناس عندي مشاعر وأحاسيس وممكن أخاف؟ ولا هتقول برضه عشان مسئول ماخافش؟ عمومًا ياللا بينا كفاية كده النهارده، انت مش ماشي؟ ياللا بينا، قولهم يحضرولي العربية»
ينهض أدهم من مجلسه ويتقدم عمر إلى الخارج حيث يجمع أدهم أوراقه ويلملم حاجياته للذهاب، ينظر أدهم في ساعته ويخرج من حجرة مكتبه، تسير سيارة أدهم وهو بالخلف ينظر إلى ساعته وعلى ملامحه القلق والتوتر.
تقف سيارة شادي جانبًا وينزل عماد ليفتح الحقيبة ويلتقط منها زجاجة الخمر، إلا إنه يلاحظ سيارة ليلى وهي تسير من جانبه، ينظر من خلال زجاج سيارتها ليرى قدميها والجيب قد ارتفعت إلى بعد الركبة بجلوسها، شدة جمالها أثارته؛ فدخل مسرعًا إلى السيارة وسألهم إذا كانوا رأوا الفتاة وهي تمر بجانبهم أو لا، فأجابه شادي وخالد الجالسين بجانب الطريق بأنهم رأوها، واستنتجوا قدومها من حفلة أو ذاهبة إلى حفلة أو سهرة حمراء وعليهم أن يحتفلوا معها، فسارع شادي وراءها وزاد من سرعته حتى استطاع أن يقترب منها ويلاحقها، وبدأوا بشرب الخمر بالسيارة، وازداد سكرهم وأصبحوا بلا وعي يفكرون فقط في أن ينالوا من ليلى، لاحظت ليلى ذلك وأنهم يلاحقونها وبدأت النظر في المرآة وزادت من سرعتها، واقترب منها شادي وغازلها وساعدهم ظلام الشوارع وخلوها من المارة في ملاحقتها.

حاولت ليلى السيطرة على السيارة إلا أن شادي كان أفضل في القيادة وحاول التضييق عليها وأجبرها على الدخول إلى شارع جانبي مظلم لا يوجد فيه مارة أو عمارات سكنية إلا سور مدرسة، لم تر ليلى أمامها شيئًا واصطدمت بالرصيف وصعدت فوقه وارتطمت بالسور حتى اصطدم رأسها بالمقود، وفقدت الوعي.

نزل جميعهم يتقدمون بحذر بجانب سيارة ليلى، فتح شادي الباب ووجدوا ليلى مغشي عليها، أخرج شادي من طيات ملابسه بخاخة ورش بها على أنف ليلى، وأخرجوها بعدما تأكدوا من أنه لا يوجد مارة أو سيارة من الممكن أن تدخل هذا الشارع الضيق، وضعوا ليلى بسيارة شادي وسارع بها إلى خارج الشارع.

وبعد قليل من الوقت وصل أدهم بك إلى ڤيلته، يدخل وينظر في الحديقة وحول المكان بحثًا عن سيارة ليلى ولم يجدها، يندهش ويسأل الحرس الخاص بالڤيلا:

- «هيا فين عربية ليلى هانم؟»

يجيب عليه الحرس:

- «ماجاتش يا فندم»

بقلق وبنبرة صوت عالية:

- «يعني إيه ماجاتش؟ ليلى هانم ماجاتش لحد دلوقتي؟»

ويتجه مسرعًا إلى الباب الداخلي للدخول إلى الصالة، يجد المكان هادئًا، يصعد إلى الدرج مسرعًا حتى حجرته، يدخل ليرى ابتسام نائمة وبيدها كتاب دال على أنها نامت وهي تقرأ فيه، يسألها أدهم بعصبية:

- «هي ليلى ماجاتش لحد دلوقتي»

تنهض وترد عليه:

- «ماعرفش أنا كنت بقرا كتاب والنوم غلب عليًّا، هي الساعة كام؟»

بغضب يرد:

- «هي الساعة كام؟ الساعة قربت على واحدة بعد نص الليل صباحًا»

ويلتقط هاتفه ويتصل، ويسمع البريد الصوتي الذي يشير إلى أن هذا الهاتف ربما يكون مغلقا، يخرج أدهم ووراءه ابتسام، يقابله في الدور العلوي عم حسين أحد العاملين بالڤيلا، يسأله أدهم:

- «عم حسين، ليلي هانم ماجاتش من بره؟»

يرد عليه:

- «لا يا بيه ماجاتش»

تدخل ابتسام بعدم تصديق إلى حجرتها وتراها كما هي مرتبة، يتصل أدهم بمراد ويسأله عن ليلى، قائلًا:

- «مراد إزيك، قولّي هي ليلى عندك لسة؟ إيه، مشيت من ييجي ساعة وأكتر؟ طيب، أصلها لسة ماجاتش، المسافة بينا نص ساعة وفي الوقت ده أقل من كده، ماشي ماشي»

يغلق الهاتف ويزداد التوتر والقلق، يخرج بحديقة الڤيلا ويجتمع الحرس حول سيارته، يتابعه الحرس ويأمرهم بعدم الذهاب معه وتركه. يأخذ من أحدهم اللا سلكي ويقود سيارته مسرعًا إلى الخارج، تفتح له البوابة على مصراعيها، يغادر بسرعة خاطفة للبحث عن ليلى بجميع الشوارع المحيطة بڤيلا مراد والشوارع الجانبية، ويسير عدة مرات ناظرًا في كل الاتجاهات على ليلى، وأيضا يمر على الشارع المظلم الذي كانت به ليلى ولكنه لم يتخيل أن أحدًا يدخله أو أن ابنته وسيارتها هناك، وفي الوقت نفسه تضاء الڤيلا بالكامل، ويبدأ التوتر والخوف على وجه ابتسام التي هي بدورها تتصل بهدى زوجه مراد وتستفسر منها عن مغادرة ليلى ڤيلتهم، والساعة بالتحديد، حركة الڤيلا أصبحت غير عادية ونهض كل من بداخلها، تخيل البعض من الحرس أنها ربما تكون حالة طوارئ، ولكن لم يحدث نهائيًّا أن يخرج أدهم بك في تلك الساعة المتأخرة وحده دون حرس، وخاصةً إن كان الوقت خاصًا بالعمل، بدأ يترقب أدهم كل منافذ المنطقة وأعاد السير أكثر من مرة على أماكن مر من عليها، ولكن راودته فكرة أن يدخل الشارع المظلم؛ فبروح الأب يناديه الأمل أن يرى غبنته هناك، وبالفعل أمتار قليلة وبضوء سيارته لاحظ وجود سيارة ليلى على حافَة الرصيف وهي مصطدمة بالسور.. نزل مسرعًا وعلى ضوء

سيارته رأى ابنته فاقدة الوعي، ولأنه رجل يعرف القانون جيدًا ترك كل شيء كما هو بعدما تأكد أنها على قيد الحياة وبدأ التحدث باللا سلكي، دقائق وانتشرت الكثير من قوات الشرطة والإسعاف بالمكان ونقلت ليلى بسيارة الإسعاف في حالة إعياء شديد، رافقها أدهم وبعض قيادات الشرطة إلى المستشفى الخاص، وهناك اجتمع بعد قليل من الوقت مراد بك وزوجته ورحاب وابتسام، حتى الصباح، مر الوقت عصيب على ابتسام وعائلة مراد وأدهم بك، وتابع التحريات وأسئلة النيابة، واهتمت القيادات العليا بالأمر، حتى وصل الأمر للوزير فورًا وتابع الحادث بنفسه مهتمًا؛ حيث إن التقرير الأول بمعرفة الطب الشرعي يؤكد أنها ليست حادثة اصطدام ولكنها حادثة اغتصاب وهتك عرض من أكثر من فرد، وحالة الفتاة سيئة حيث تعاني غيبوبة مؤقتة وحالة إعياء شديدة، وأضافت التحريات والمعاينة بأن هاتف ليلى مغلق منذ فترة وجودها في حفل صديقتها وموجود بدواسة السيارة، والمقصود هو الاغتصاب وليس الهدف السرقة، وتتابع الشرطة والمختصين بالمباحث لمعرفة الجناة وكيف حدث ذلك الاغتصاب، علما بأنه يستبعد نهائيًا حدوث جريمة الاغتصاب داخل السيارة، وأنها تعرضت للتخدير بكمية مخدر كبيرة، كل ذلك أمام المختصين لمعرفة الجناة.

أقر الأطباء مبدئيًا عدم الزيارة لحالة ليلى السيئة، وتحتاج إلى رعاية طبية لمدة أسبوع على الأقل لحين استجوابها، فهي الوحيدة التي لديها التفاصيل ومعرفة الجناة وكيفية حدوث الجريمة، اجتمع مراد بك وزوجته وابنته بقيلا أدهم بك، بعدما علموا بمنعهم عن رؤية ليلى، ودار الحوار بين ابتسام وأدهم بمشادة كلامية، وبضيق أعرب أدهم عن استيائه مما حدث نتيجة تهاون ابتسام مع ليلى وجعلها ترتدي ملابس تثير الغرائز، وتركها تذهب وحدها بدون حرس أو سائق خاص، أو حتى تذهب معها، وبررت ابتسام أن كل الفتيات ترتدي مثل هذ الزي، وأنها فعلت ما يقول لها ولكن ليلى أصرت ولم ترض بأن تحزنها في يوم حفل صديقتها وأعطتها بعضًا من الحرية، ولم تتخيل أن ما حدث سيحدث، عقب مراد على الحوار، بأن ليلى بالفعل

أصرت أيضًا على ألا يرافقها أحد وهي بڤيلته، وأصرت على أن تذهب بدون أحد، وأنها لا تسمع لأحد يحذرها أو ينبهها، وأنها تتمتع ببعض الثقة الزائدة، وأن عليهم الآن أن يتركوا كل شيء جانبًا وأن يفكروا في شفائها والوضع الذي أصبحت عليه الآن.
بكت ابتسام وحاولت تهدئتها هدى زوجه مراد، وعلى جانب آخر وفي مكتب أدهم بالڤيلا، عاتبه مراد عن كيفية اتهام ابتسام ولم يكن ذاك هو الوقت المناسب؛ فهي في ظرف سيئ مما حدث لابنتها وكان يصعب عليها ذلك، وكان الرد من أدهم صادمًا، إنه أيضا أب وبحكم منصبه يعد الأمر أكثر من ذلك سوءًا، هون مراد عليه وجعله يتماسك بعض الشيء.
لم ينم أدهم وابتسام طيلة يومين، وما أحزنهم وصعب الموضوع على رجال الشرطة هو ما يقوله الأطباء بعد متابعه الحالة بأن ليلى أصيبت بالبكم، أي عدم الكلام، وهذه تعتبر حالة عارضة نتيجة صدمة، ولا يعلم أحد إلى أي وقت ستستمر وترجع إلى طبيعتها وتتكلم، وهذا ما جعل الأمر صعبًا على رجال الشرطة لمعرفة الجناة، وبدأ التعامل معها بالإشارة وباليد وبالكتابة على الورق، فكتبت شيئًا جاء أصعب مما هي عليه، أنها لم تر أي أحد من الجناة نهائيًّا فقد اصطدمت بالمقود وفقدت الوعي، وعندما اقتربت من الإفاقة مدت يد على فمها ورشت لها مخدرًا ففقدت الوعي مرة أخرى، وكلما بدأت في الإفاقة أعطاها أحد مخدرًا، أي ثلاث مرات تعرضت للمخدر قبل وأثناء الاغتصاب، وأصبح الأمر معقدًا جدًّا ولا يوجد أي دليل أو بصيص أمل لمعرفة الجناة.
جلس أدهم بك يفكر بمكتبه سارحًا، يدخل عليه عمر ويعطيه التحية، وإذا بأدهم قائلًا:
- «عمر، انت مش أجازة عشان هتعمل عملية؟»
فيرد عمر:
- «فعلًا يا أفندم بس أنا عرفت اللي حصل ومش ممكن أبعد عن معاليك في الوقت ده»

فيرد عليه أدهم بأنه يحتاج إلى الإجازة ولا بد من إجراء العملية حتى لا تسوء حالته، وأنه شاكر لشعوره ووجوده لا يفيد في شيء؛ فالأمر صعب، إلا أن عمر أصر بل ألح على أدهم بك، وأنه ربما كان سببًا في البحث عن الجناة والقبض عليهم، ليس لأنه أفضل من القيادات والرتب العليا، بل من الممكن أن يفيد، ويرجو من أدهم السماح له بالمشاركة وزيارة ليلى بالمستشفى، ربما يستنتج منها شيئًا يفيد في التعرف على الجناة الذين لم تشاهدهم.
وكان على مقربة من الذهاب إلى ليلى فأخذ عمر معه، وبالمستشفى قدم أدهم عمر إلى ليلى. وأعلمها أن عمر هو أقرب العاملين معه ويثق به وعليها أن تجاوب على أسئلته أو تحكي له ما حدث من جديد وألا تنسى شيئًا، جلس بجانبها عمر، وبدأ بابتسامة عريضة أن يستشف منها ما بين السطور الغامضة، ويذكرها لو نسيت شيئًا، وبالفعل سألها عمر عندما لاحظ أن كف يدها مصابة ومربوطة برباط، وسأل نفسه قبل أن يسألها: ما السبب؛ فأجابت بأنها في المرة الثانية وعند تخديرها كانت تشعر بأنها في مصعد، وعندما شعرت بالإفاقة، مدت يدها وعلقت بزجاج باب المصعد المكسور، فشد أحدهم يدها فجرحت، وكرروا تخديرها.
ومن هنا بدأ عمر في الوصول إلى أمور هامة قد يصل بها إلى ما يريده، خرج عمر من حجرة ليلى وعلى وجهه ابتسامة تنم عن معرفة شيء، وضحه إلى أدهم في مكتبه بالڤيلا، وهو أولًا: الوقت الزمني منذ اصطدمت ليلى بسيارتها بالسور، ووقت الاغتصاب، إلا إن الوقت بسيط، وتخيل ما رواه لأدهم بك بأن الجناة استغلوا أن ليلى أغمي عليها من الاصطدام، وبالتوضيح يظهر أنها كانت مسرعة وهم يلاحقونها، ولم تدخل الشارع برضاها، والوقت يثبت أن جريمة الاغتصاب لم تتعدَ الساعة والنصف، أي أنهم أخذوها بعد التخدير واغتصبوها، ثم قاموا مرة أخرى بإعادتها دون أن تراهم، وتكرار المخدر ساعدهم على ذلك، وعندما أفاقوا لفعلتهم رأوا أن رجوعها إلى سيارتها أفضل وقد حدث، وهي أيضًا تحت تأثير المخدر،

وتخيلوا أنهم سيفرون بفعلتهم دون أن يعلم أحد أو تراهم المجني عليها، رجح أدهم كلام عمر، وانصت إليه بتمعن، وتابع عمر:
- «ثانيًا، جرح يد ليلى بزجاج الأسانسير يؤكد أن عملية
الاغتصاب حدثت بعمارة سكنية في أحد الأدوار العليا، لما شعرت به ليلى بأن الأسانسير يصعد وقتًا أطول؛ أي أنه ليس في الدور الأول أو الثاني، وعندما حاولت الإمساك بالزجاج خدرها أحد الجناة وشدها من يدها فجرحت، ومن هنا نستنتج أن عملية الاغتصاب حدثت في دائرة المكان وليست بعيدة وإلا تركوها في أي مكان بعيد، ولكن الاستنتاجات تشير إلى أن مكان الاغتصاب قريب، وفي عمارة سكنية وبها أسانسير»
اندهش أدهم من ذكاء عمر وأثنى على حواره وما يقوله، وأكد له عمر أنه سيصل إلى الجناة حتمًا.
وعلى نقيض آخر وبفرحة غامرة يتحاور شريف بك والد شهاب خطيب ليلى قائلًا:
- «السفرية دي بقى هتخليك حاجة تانية وترجعك إيه، أهو قدامك شهر تظبط حالك ونشوف تكون ليلى استردت صحتها وتاخدها معاك، أهي خلصت الكلية، وتغير جو بعد اللي حصل لها»
وباستياء يرد شهاب:
- «بابا انت بتقول إيه؟ أنا مش هينفع أتجوز ليلى بعد اللي حصل، أنا بقيت في مركز مهم وحساس»
يرد شريف عليه:
- «يا خسارتي فيك، يا خسارتي فيك، أنا خسارتي فيك أكبر من خسارة أدهم في اللي حصل لبنته»
يرد شهاب بغرور أنه أصبح رجلًا دبلوماسيًّا ويستحيل أن يتزوج إنسانة حدث لها مثل هذا الحادث، واشتد بينهما الحوار عندما أهان شهاب ليلى، فصفع شريف شهاب على وجهه حتى ارتمى على المقعد ولملم نفسه، وأكمل شريف حواره:
- «أنا كل اللي حازز في نفسي إنك ابني للأسف، أنا ماربيتكش على كده إنك تتخلي عن اللي في أزمة وتساعده»

فيقف شهاب وبثقة وحدة يقول:
- «ابنك بقى رجل مهم ومركز مرموق، عايزني أتجوز واحدة اغتصبوها أربع أفراد ليه وعشان إيه؟»
فيرد شريف:
- «عشان الرجولة، عشان وعدت البنت تتجوزها، عشان البنت حبتك، عشان تكون قد المسئولية وقد كلمتك، عشان حاجات كتير انت ماتفهمهاش، اللي ينسى ماضيه مافيش خير فيه، انت كنت إيه؟ ولا حاجة، وباتصالاتي ونفوذي خليتك بني آدم، دلوقتي انت كلب سعران، روح سافر وابعد عني مش عايزك هنا، خسارة ماعرفتش أربي، انت تربية أمك الله يرحمها، طول عمرها مناخيرها فوق ومغرورة وبتحب نفسها، طلعتك زيها وأدي النتيجة، تبيع أقرب الناس ليك.. وأنا لو مش في منصب مهم أو ماعييش فلوس كنت زمانك اتبرأت مني أنا كمان.. ياللا روح، روح، حسبي الله ونعم الوكيل»
ومرت الأيام وانتقلت ليلى إلى الڤيلا، ولم تتركها ابتسام لحظة واحدة أو تتركها رحاب، وظلت معها أيامًا ترافقها حتى تنتهي من حالتها أو تتماثل للشفاء وتنطق، وبحنان الأب لم يغير أدهم أسلوبه أو طريقته معها، ولكنه زاد من حنانه.. ولكن ما كان يراوده ويستنتج أنه سيحدث هو رد فعل خطيبها شهاب ووالده، وهذا ما أكدته ابتسام وحكت لأدهم مكالمته يوم الحادث لليلى، وأن شخصيته لن تتوافق مع ما حدث.
أعرب أدهم عن عدم اهتمامه بالأمر، وأنه لو حدث وتراجع عن موقفه أو حتى غير من معاملته مع ابنته سيفسخ هو الخِطبة؛ فلن يضع ابنته في هذا الموقف أبدًا أو يجعلها في حالة أسوأ مما هي عليه، ولكن تداركًا للأمر أخفوا عنها أن شهاب موجود وأنه مسافر، حتى يمر وقت وينهوا الموضوع؛ إما بالرفض أو القبول، ولكنهم لم يتوسموا فيه خيرًا فعلًا.
كان أدهم دائم الحوار مع ليلى ويستفز مشاعرها ويضحك معها مرة ويشجعها على الحديث حتى تنطق، كان يحاول أدهم أن يرى ابنته

من جديد تنطق وتملأ الدنيا عليهم، استمرت كثيرًا بلا طعام، وبعد وقت بدأت الأمور تهدأ، وزارها عمر مرات في الڤيلا.. كان يضحك معها ويلعب معها الشطرنج، وأصبح صديقًا يمتص حزنها ويحاول أن يساعدها كي تشفى وتتحدث.
وفي مكتب أدهم بك حضر السيد شريف والد شهاب، يسأل عن ليلى، وقد مر وقت طويل وكان من المفترض أن يسأل قبل ذلك، وكانت الحجة من شريف أن شهاب سافر في عمل وهذا ما جعله يقصر في السؤال، فبسط له أدهم الموضوع واقتصره، وأن ابنه صرف نظر عن الخِطبة واستبعد الموضوع، وهذا من حقه، وأن ما بينهم من صداقة ستظل كما هي؛ فكان شريف في أشد الحرج من أدهم ولم ينطق أولًا لأنه اقتصر عليه الموضوع ووفر الحرج، وثانيًا أزال من عليه همًا كبيرًا في توضيح الأمر، استأذن شريف بلا حوار بائس والألم والضيق ينساب منه، لم يكن يهتم أدهم بذلك؛ إنه كان متأكدًا مما سيحدث، وتذكر في الماضي حينما كان يحادث عمر عن ابنته وخطيبها وعلامات الضيق التي وضحت على عمر أثناء الحوار، فانتبه لماذا فكر في ذلك الآن ولم أدمج الحاضر مع الماضي، وأثنائها يدخل عمر مبتسمًا.
- «تمام يا أفندم»
يشير إليه أدهم:
- «عندك أخبار كويسة؟»
فيرد قائلًا:
- «أخبار كويسة جدًا قربت أوي يا أفندم، عملت تمشيط للمناطق المجاورة لمكان الحادث والعماير المجاورة العالية اللي فيها أسانسيرات زجاجها مكسور، وتوصلت لعمارة الشقة اللي في الدور العاشر، بتاعة طبيب جراح مسافر دولة عربية هو ومراته طبيبة التخدير، وابنهم شادي هو المقيم فيها وبيدرس هنا، وباقي الشقق أغلبها مقفولة وأصحابها مسافرين.. ومافيش بواب للعمارة، يعني الموضوع كان سهل بالنسبة للمتهمين دول، وأكيد ابنهم هو اللي قام بالتخدير لليلى هانم»

يرد عليه أدهم بإعجاب ويشكره على اهتمامه، ولكن أمام القانون لا يوجد دليل قاطع على أن ابن الطبيب مفتعل الحادث هو ومن معه، لا بد من وجود دليل للقبض عليهم. وسع أدهم التحريات وبالفعل بعد التوضيح أمر بمراقبة شادي، وبمعاينة الزجاج تم التأكيد أنه الزجاج بالفعل، وعليه نقطة دم من دماء ليلى.. وفي ساعة متأخرة من الليل اتصل عمر بالسيد أدهم فنهض مسرعًا وارتدى جلبابًا وزيًّا عربيًّا متنكرًا، اندهشت ابتسام لما تراه ووضح لها أن الأمر يخص عمله، وخرج من الڤيلا في اندهاش الجميع من الحرس والعاملين، وقاد سيارته بدون مرافق وذهب إلى أحد الكازينوهات حيث تقابل مع عمر وجلسا على إحدى الطاولات، وحكى عمر له عن مراقبته لشادي وأصدقائه الثلاثة، وهو على يقين من أنهم الفاعلون.

هم يعربدون ويسكرون في هذا المكان، وتأكد عمر أن شادي بالفعل هو طالب في السنة الرابعة ورسب كثيرًا، ومعه الكثير من المال يصرفه ببذخ على نفسه وأصدقائه.

جاء النادل وطلب عمر فنجانين من القهوة؛ فاستغرب إبراهيم الجرسون وهو شاب في الثلاثينات، وخرج عن صمته عندما رأى أدهم ناظرًا إليه باستغراب، فيتحدث قائلًا:

- «ماتبصليش كده، أنا مؤهل عالي بس أعمل إيه؟ الظروف خلتني أشتغل هنا، مافيش شغل والدنيا غلاء، يعني إيه، أموت العيال من الجوع؟»

ويتركهم ويغادر في اندهاش أدهم وعمر، ويخرج عمر وأدهم بعد ذلك، وبعدما تعرفوا وجوه الأصدقاء الأربعة من بعيد، يستمر الحوار حول كيفية إثبات الجريمة عليهم، ومن السهل جدًّا الخروج منها بواسطة أي محامٍ مبتدئ؛ حيث إن ليلى لم تر شيئًا ولن تتعرف على أي أحد منهم، والقانون له الأدلة والمستندات وشهادة الشهود، وهم بعيدون تمامًا أمام القانون عن أي اتهام، ولا بد من وضع خطة لوقوعهم والاعتراف.

وبالفعل دبر عمر خطة ربما تكون وسيلة للقبض عليهم؛ فأحضر إبراهيم النادل وقابله السيد أدهم بمكتبه، وبخوف ورعب شديدين

انتفض إبراهيم بالقول بأنه يعيش في سلام ولم يؤذِ أحدًا وأنه منذ رأى أدهم وعمر شك في أنهما من رواد المكان، وأنهما مختلفان عن الباقين. شرح له أدهم بك وعمر أنهم يريدونه في أمر هام؛ يساعدهم في القبض على بعض المتهمين في المكان، رحب إبراهيم معبرًا وشارحًا أنه حاصل على ليسانس حقوق وكان يتمنى الالتحاق بالنيابة لولا ظروفه العائلية، ويحب القانون وكان يتمنى أن يعمل به، حكى له عمر عن الخطة ووعده أدهم أن يوفر له عملًا خلاف عمله هذا، وسيعطيه مكافأة مالية لو تمت الخطة بنجاح وتم القبض على المتهمين.

وفي ڤيلا مراد بك اجتمع أدهم ومراد وعمر بمكتب مراد ورافقتهم رحاب، وتم التعارف مع عمر، وأشار أدهم أن عمر يفعل كل ما في وسعه للقبض على الجناة، وأوشك هذا أن يحدث بالفعل، ويحتاج بعض المساعدة من رحاب ابنة مراد، رحب مراد وابنته بأية مساعدة تفيد في القبض على الجناة، وبكل حب وإقدام أبدت رحاب مساعدتها، وأن ليلى أخت لها وليست صديقة فقط، خشي أدهم أن تفسر ما جاءوا إليه لحسام خطيبها أو أنه يعترض على دخولها في مثل هذا الموقف، طمأنت رحاب أدهم بأن ليلى أعز من أن أحدًا مهما كان يمنعها عنها أو عن مساعدتها، وأشاد ورجح مراد ذلك، وأن ليلى في محل ابنته وأخت لرحاب، شرح عمر لهم الخطة جانبًا في عدم وجود هدى زوجة مراد، وربما تدخلها كأم لرحاب تخشى عليها فتفسد الخطة بدون علم أو دراية.

وفي نفس الكازينو يجلس أدهم وبجانبه رحاب ترتدي «جيب» فوق الركبة و«بادي» وشعرها عارٍ؛ مثيرة.

وبالجانب الآخر طاولة الأصدقاء ينظرون إليها ويتحاورون حول أنها جميلة جدًّا ومثيرة، يستفزهم إبراهيم النادل كما الخطة الموضوعة ويثير شهواتهم بأن رحاب مع العربي، ومن الممكن أن يساعدهم بأن تكون معهم وتقضي السهرة برفقتهم؛ فوافقوا وأعطوه المال، لحظات ونهضت رحاب وغادرت المكان، وأشار إليهم إبراهيم أن يسرعوا قبل أن تذهب لمكان آخر، فغادروا جميعًا وراءها وتركوا أدهم.

استقلت رحاب سيارتها وهيأت لهم أنها في حالة سكر، لاحقوها واستعادوا مشهد الاغتصاب، وتحدثوا عنه وأن رحاب أجمل وأكثر إثارة أكثر منها، وعليهم أن يقضوا السهرة معها، تقود رحاب سيارتها وفي ذهنها كل كلمة قالها لها أدهم وعمر، وبكل جراءة كانت تقود ولا تخشى شيئًا، وبالفعل دخلت رحاب نفس الشارع المظلم -وكأنه فيلم يعاد تكراره- ووقفت على جانب الطريق ومثلت أنها فاقدة الوعي ورمت برأسها للوراء.

اقترب منها الأصدقاء وتخيلوا أن الظروف تساعدهم، فتحوا باب سيارتها وفعل شادي مثلما فعل مع ليلى وخدرها، ومثلت رحاب أنها خدرت بالفعل وهي على ثقة بأدهم ورجال الشرطة الذين يتابعون كل شيء حرصًا على رحاب، انتقلوا بعد ذلك إلى شقة شادي، وأدخلوها حجرة وبدأوا في نزع ملابسها، وللأمان أعطاها شادي جرعة أخرى من المخدر.

وبدأ شادي محاولة اغتصابها، وبجانبه أصدقاؤه، لكن يفتح عمر باب الحجرة ويدخل شاهرًا مسدسه في وجوههم، وبجانبه العديد من قوات الشرطة.

اندهش الأصدقاء واستسلموا، قيدوهم بالأصفاد، وتقدم أدهم إلى رحاب وغطاها بملاءة، وبمساعدة طبيب مع القوة المرافقة أعطاها حقنة حتى تفيق من غيبوبتها، وبالفعل أفاقت، وتقدم منها مراد بعد ذلك واحتضنها، واستقلت سيارة والدها، مرت الأيام والتحقيقات بدأت، واعترف الجناة بجريمتهم واغتصاب ليلى وأنهم كانوا ينوون الاعتداء على رحاب، ولكن ليس بنية الاغتصاب، وكانوا يتخيلون أنها فتاه ليل وذلك برضاها، إلا أن الظروف ساعدتهم فرأوا أن يكون ذلك أسهل بدلًا من أن تعترض لوجود عدد من الأشخاص معها.

ارتبط عمر بصلة وطيدة بعائلة أدهم بعدما كان سببًا قويًّا في معرفة الجناة، وقبل يوم الحكم حضر إلى أدهم، وبخجل وتوتر جمع قواه في حوار قائلًا:

- «أدهم بك أنا مش عارف أبدأ منين، بس عايز طلب من معاليك لو ممكن؟»

فيرد عليه أدهم قائلًا:
- «إيه يا عمر، قاعد تتهته ليه؟ ما تقول عايز إيه أنت مش غريب دلوقتي»
فيرد عمر بحرج:
- «ده شرف كبير ليا يا أفندم، وده اللي خلاني أتجرأ وأطلب من معاليك إيد بنتك ليلى»
وباستغراب يرد أدهم:
- «ليلى؟ آاه، قلتلي بقى. عشان كده اتضايقت لما جبتلك سيرة خطيبها قبل كده، وأنا أقول سرح في إيه سرح في إيه؟ انت بقى كان عينك من البنت ومخبي؟»
يبتسم عمر:
- «الحقيقة يا أفندم أنا ما صدقت وعرفت إنها سابت خطيبها ومازعلتش، وده أكد لي أنها ماكانتش مرتبطة بيه أوي؛ عشان كده قلت أطلب إيدها من معاليك، ويا ريت توافق، أنا شفتها كام مرة عند معاليك في المكتب وأعجبت بيها، بس ماكانش عندي الجرأة وقلت مش معقول معاليك وهيا هتوافقوا عليا»
يربت أدهم على كتف عمر بحنان.
- «مين قالك كده، هو انت شوية؟ مهنة محترمة وأخلاق وأدب وذكاء، وكفاية اللي عملته، بس يا عمر...»
يقاطعه عمر:
- «ماتكملش يا أفندم، اللي حصل لها ده غصب عنها»
فيبتسم أدهم:
- «عموما أنا موافق، بس رأيها برضه مهم، بس أنا متطمن إنها مرتاحة لك»
تدخل ليلى عليهم ويطلب منها أدهم الجلوس، ويحكي لها عن طلب عمر ويطلب رأيها؛ فابتسمت ابتسامة رضا، ومرت أيام وتوطدت عَلاقة عمر بليلى، وساعدها على الكلام بعض الشيء، وفرح الجميع.

اقترب موعد المحاكمة للجناة، وتقدم أدهم من ساحة المحكمة ويرافقه عمر وليلى، يدخل أدهم طالبًا من القاضي بصفته والد المجني عليها بعد أن استأذن القاضي للحوار:

- «سيدي القاضي، قبل أن أطلب أشد العقوبة على المتهمين أحب أن أوضح وأنوه أن المجتمع في غفلة، لا بد من أن تهتم الأسر بأبنائها وترعاهم جيدًا حتى لا يقعوا فريسة للإهمال؛ فكل واحد من هؤلاء المتهمين كان وراءه دافع وسبب جعله يقدم على هذا الجُرم الشنيع، وهو الأهل والظروف المحيطة، كل منهم وراءه هم كبير.. فلم يولد الإنسان وبطبعه الإجرام، كل الأخطاء كانت من البداية، وعلى الأسر الحذر ثم الحذر.

ولن أبتعد عن الخطأ كثيرًا؛ فأنا أعترف أن ابنتي أيضًا كانت مخطئة، لن أمحو الخطأ منها، لا بد وأن نحتاط إلى بناتنا وأبنائنا في كل شيء: ملابسهم وحوارهم وتطلعاتهم وحركتهم، كل شيء، فالغريزة مكبوتة، ومن يخرجها هي الإثارة، وأترك العدالة تأخذ مجراها في معاقبة الخطائين»

ويترك أدهم القاعة ويخرج، وفي ساحة المحكمة تقابله إحدى المذيعات وتسأله:

- «معاليك تتوقع الحكم هيكون إيه؟!»

النهاية

***

السجن للجميع

مقدمة

أحيانًا يكون السجن داخلنا؛ في منزلنا، في عملنا، في نفوسنا. لم يكن السجن فقط هو السجن الذي يحكم به القانون بين الجدران المظلمة، ولكن السجن أنواع شتى، وهو ضميرنا، سجن يحيطنا دائمًا، أفعالنا التي تطوق رقبتنا، تفكيرنا المسيطر يدركنا أينما نكون، كل ذلك من الممكن أن يقودنا إلى السجن الحقيقي بين الجدران الصُلبة الأسمنتية؛ فالسجن لم يكن للجميع، بل لمن ينقاد إلى الأخطاء التي تكثر وتكثر، وتنتقل من مرٍّ إلى أمَرّ، ومن عراك إلى جريمة، وتأخذنا إلى مصير محتوم.

المؤلف

***

بأحد الميادين المعروفة وحركة سير السيارات والمارة واتجاهاتها المختلفة، تسطع الشمس في السماء الصافية، نهار مشرق وجو صافٍ، وعلى مقربة من قسم مصر الجديدة تقف إحدى سيارات الشرطة وينزل منها اثنان من أمناء الشرطة جانبًا من السائق، وآخران من الخلف، بينما ينزل مجموعة من المتهمين.

حركة القسم عادية؛ أشخاص يخرجون من المدخل الرئيسي وآخرون يدخلون، وفي الجانب حرس خاص.

كالمعتاد يغيم الليل على المكان حيث عيادة الطبيب بهاء بمكتبه، يسطر في أوراقه بعض الكلمات الإنجليزية، وفي مقدمة المكتب لافتة باسم بالدكتور «بهاء الدين رسلان» - طبيب نفسي، يدخل عليه مجموعة من الرجال فجأة فيقف، يتقدم أحدهم إليه بورقة يقرؤها الطبيب ويردها إليه مرة أخرى، يخلع المعطف الطبي ويرتدي معطفه المعلق على شماعة بجانبه، وفي هدوء يذهب مع المجموعة، والتي من أول وهلة يبدو أنهم رجال المباحث.

يفتح أحدهم كلبشًا ويوصده على يد الطبيب، ويخرج الجميع من العيادة، في ذهول سكرتيرة المكان، باندهاش لا تصدق ما حدث.

وفي حجرة الحجز المغلقة المظلمة لا ينبعث منها ضوءُ إضاءة ليلٍ واضحة، مقاعد أسمنتية وأرضية بلاط؛ أربعة من المتهمين كل منهم في جانب يتعايش في خياله وتهمته، بين الأمر الواقع والماضي والمستقبل. الحزن والألم يملأ المكان في صمت، وعلى مقربة من المتهمين يجلس الطبيب. يلاحظ صابر أن الطبيب شخص ليس مجرمًا، ببدلته الأنيقة وشكله الوقور؛ فيتقدم منه وحيد الذي بلغ من العمر الثلاثين، ويسأله عن عمله والتهمة الموجهة إليه، ويندهش عندما أجابه بهاء بأنه طبيب نفساني، وباستغراب بدأ يعقب وحيد على حوار بهاء بأنه وغيره يسمعان عن اتهام أطباء بالجُرم، ولكن أطباء جراحة، قتل خطأ، أيًّا كان في تخصصهم، ولكن المدهش أن يكون طبيب نفسي؛ فهل جريمته خارج تخصصه، وكأن الإجابة أكثر تعقيدًا إلى وحيد، حينما أجابه بهاء بأنه بريء مما أسند إليه من اتهام، وهذا

ما جعل كل المحيطين من المتهمين يجتمعون حول بهاء ووحيد ليسمعوا الحكاية من بهاء، والحقيقة التي جعلت طبيبًا نفسيًّا يتحول إلى متهم ومقدم للمحاكمة، أو أنه يكذب عليهم وقد أجرم بالفعل.
وبدأ يسرد حكايته كاملة بإنصات الجميع له؛ حكايته التي بدأت في أحد الأيام بعيادته وأمامه إحدى الفتيات، تعدت العشرين من العمر، ممشوقة القوام جميلة الوجه، شعرها يتدلى على كتفيها، أنيقة في ملبسها، تضع قليلًا من الماكياج؛ فجمالها طبيعي لا يحتاج إلى تزيين. ملامحها وحوارها لا ينمان على أنها مريضة.
وأكد بهاء بعد وقت من الحوارات والجدال أنها ليست مريضة ولا تعاني شيئًا مخيفًا يضرها، وأنها على دراية ووعي تام لما تقوله، وأن ما حكته له وما حدث لها من حادث من الممكن أن يحدث لأي فتاة، وليس بالضرورة ارتباط الحادث بعامل نفسي؛ فهي إنسانة طبيعية جدًّا، وكان الرد من ياسمين قائلةً:
- «انت عارف يا دكتور يعني إيه بنت في سني تتعرض لجريمة اغتصاب من أحب الناس ليها، الإنسان اللي كانت بتحلم تتجوزه ويعيشوا في بيت واحد»
وبرهن لها بهاء أن حوارها يدل على علامات صحية، وأنها في طريقها إلى النسيان والتعايش، وأن ما يحدث لها ليلًا من فزع وتوتر وحالة من الاكتئاب ما هو إلا وقت عارض وينتهي، وكان الرد صادمًا من ياسمين:
- «بس أنا لازم أنتقم من كل الرجالة اللي زيه، لازم أنتقم**!**»
وصمت الطبيب ولم يكمل حواره مع وحيد وباقي المتهمين، وتخيل البعض أنه مصاب بحالة نفسية، وأكثر الأطباء في هذه المهنة رفيقهم الصمت، وعقب هشام بالحوار قائلًا:
- «هنا هتلاقي الظالم والمظلوم، الكبير والصغير، وكل المهن والمناصب؛ تقدر تقول مولد.. كمل يا دكتور كمل، أدينا بنتسلى»
ويكمل الطبيب روايته والكل يسمع صامتًا بانتباه، وبدأت ياسمين في الصراخ:
- «لازم أنتقم، لازم أنتقم»

وانهارت، فدخلت الممرضة سريعًا وأعطاها بهاء حقنة مهدئة، ودخلت حينذاك إحدى السيدات وقد تعدت الستين من العمر في قلق وخوف، تتجه إلى ياسمين وتمنعها الممرضة وتأخذها جانبًا حتى تهدأ، تستلقي ياسمين على سرير الكشف ويحاول بهاء تهدئتها، انفرد بهاء بالسيدة خديجة وتحاور معها في أمر ياسمين حفيدتها، والتي تعيش معها بعد أن توفيت والدتها وتزوج أبيها بأخرى وسافر، ولم يسأل عنها فقط إلا لإرسال ما تريده ياسمين من مصاريفها الخاصة، وبعد ما حدث لها من اغتصاب لم يهتم كثيرًا، واعتبر الموضوع حادثًا وستكون حالتها مستقرة مع الوقت.. وللأسف طالت الفترة وحالتها النفسية تسوء، أكد بهاء أن حالة ياسمين تحتاج إلى رعاية طبية خاصة، ولا بد من حجزها بمستشفى ورقابة، ولا تحتاج إلى جلسات طبية نفسية فقط. ولكن خديجة توسمت فيه الخير والخبرة، وأكدت ذلك بما سمعته من المقربين عن خبرته في معالجة الكثير من الحالات المماثلة، وأنها لا ترغب نهائيًّا أن تضع حفيدتها في أي مستشفى مهما حدث.

عقَّب صابر على حواره باستغراب ودهشة:

- «يعني انت عايز تفهمني إنك دخلت السجن عشان رفضت تعالج البنت وقلت للست احجزيها في مستشفى؟ انت بتكدب علينا ولا انت مريض نفسي ولا إيه وبتسرح بينا؟ انت شايفنا إيه، قول الحقيقة إحنا في الهوا سوا في الحجز، يعني مافيش حد سامعنا»

وأكمل هشام:

- «ماهو أصل الحكاية باينة من أولها، إيه الجريمة اللي ممكن تكون عملتها مع البنت دي ودخلت بسببها السجن؟»

يعقب فتحي قائلًا:

- «أنا أقولكم، اداها حقنة غلط ماتت فيها، صح يا دكتور؟»

يبتسم بهاء ابتسامة عريضة ناظرًا إليهم ويكمل:

- «أهو أنا دلوقتي عرفت انتوا دخلتوا السجن ليه، أكيد قرارتكم كلها كانت غلط ومتسرعين من غير تفكير وسوء تقدير»

فيرد هشام بضيق:

- «انت هتعالجنا نفسيًّا ولا إيه؟ على فكرة إحنا متعلمين بس الظروف، كل واحد فينا عنده مشكلة مالهوش ذنب فيها، وكلنا محبوسين ظلم، إلا صابر هو الوحيد اللي معترف بجريمته. مش موضوعنا، كمل كمل يا دكتور، زي ما قال فتحي كده اديتها حقنة غلط؛ ما هو مافيش غير كده»
يقطع حوارهم أحد أمناء الشرطة مناديًا:
- «اللي هانده عليه يقوم يقف، عشان يروح المحكمة»
وتقف سيارة الترحيلات أمام المحكمة، ويدخل المتهمون، ويأتي الليل وقد جاء المتهمون مرة أخرى إلى حجزهم، ويأتي الليل بظلامه وعتمته ويجتمع المتهمين كما كانوا في ألم وحزن شديدين، يضع هشام رأسه في كفيه متألمًا وبجانبه الباقين، وبهدوء يحاول بهاء أن يقلل من حزنهم وآلامهم، ويقترب من هشام بدايةً قائلًا له:
- «ماتزعلش على حكم ربنا، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا»
يندب هشام حظه قائلًا:
- «ده أنا مابعملش حاجة وحشة أبدًا وعايش لأمي وأختي وماشي جنب الحيط، واتذليت للي يسوا واللي مايسواش عشان أشتغل سواق في شركة وطالع عيني، وقلت معلش عشان لقمة العيش الحلال، ولما آجي أعمل خير ألقاه شر»
فيرد صابر عليه:
- «أنا لو منك كنت سيبتها في الشارع، انت مالك؟»
وبدأ هشام يسرد حكايته: في أحد الأيام وبأحد الشوارع كان يقود سيارة الشركة نصف النقل، وفوجئ بجانبه بإحدى السيارات الملاكي تسير بسرعة وتصطدم بفتاة تعبر الطريق وتفر هاربة.. ارتمت الفتاة أمام سيارة هشام؛ فوقف وبأعجوبة حاول تفاديها حتى لا يكمل دهسها، فصعدت على مقدمة السيارة ووقعت أمامها مباشرة وتناثرت الدماء في محيط السيارة، واجتمع المارة والسيارات المختلفة بالمكان، وظن البعض بل أكثر الموجودين أن هشام من صدمها بسيارته، حاول أن ينقذ الفتاة واستقل بها إلى أقرب المستشفيات المجاورة للمكان، وللأسف لا يوجد دليل على براءته؛ بل كل الأدلة تشير إلى

أنه صدمها بالسيارة، حيث تواجد الفتاة أمام السيارة والدماء التي على مقدمتها والشهود الذين كانوا بعد ذلك، الكل يشير إلى أنه الفاعل.
يحاول الطبيب أن يهون عليه وأن جزاء ما فعله عند الله وقريبًا كل الخير، ولكن صابر اشتد غيظًا من كلام بهاء وعقب عليه:
- «إنما انت غريب أوي يا دكتور، الراجل اتحبس عشان عمل خير وحاول ينقذ البنت وتقوله خير؟»
ويكمل فتحي:
- «انتوا عارفين أنا اتحبست ليه؟ عشان برضه عملت خير، ضمنت واحد جاب عفش لبنته وطلق مراته وخلع وسابني، ولظروفي المهببة طلعت من الشغل وماقدرتش أسد الدين وأنا أهوه معاكم في السجن، هو ده جزاء فعل الخير؟ انت غريب فعلًا يا دكتور، انت أكيد مش مظلوم ولا حاجة عشان قاعد تبسط لنا المواضيع»
يؤكد بهاء أنه مظلوم ولكنه مؤمن بالله والمكتوب له، وبدأ صابر باستخفاف قائلًا:
- «أيوه أيوه الست نزلت من عندك في العيادة وبنت ابنها زغللت عينيك، قول قول الحقيقة»
يرد بهاء عليه قائلًا:
- «أنا هاقولكم باقي الحكاية عشان ماحدش فيكم عارف حاجة»
وأمام مكتب وكيل النيابة يقف الدكتور بهاء ويعطيه الوكيل ورقة مكتوبة بخط ياسمين، يأخذها بهاء ويقرأ ما فيها:
- «لقد يئست من حياتي بعدما اعتدى عليَّ الطبيب بهاء والذي كان يعالجني، واستغل حبي له واغتصبني وعاشرني مرارًا، ووعدني أن يتزوجني ولم يوف بوعده لي، وهددني أكثر من مرة أن يقتلني ويرميني في النيل لو صارحت أهلي بالسر، وأنا الآن أشرح ما بيننا حتى إذا حدث لي مكروه يكون هو القاتل، ياسمين»
يرد فتحي بغيظ:
- «يا بنت المجنونة، والله تستاهل الموت.. تدخل دكتور أهله تعبوا فيه السجن؟ حتى المجانين كمان بيفكروا إزاي يؤذوا العاقلين»
يعقب وحيد على حوارهم قائلًا:

- «طب إزاي، هو إيه مافيش طب شرعي؟ بلاش، ستها راحت فين تشهد بالحقيقة وتبرأك، ولا طلعت زي بنت ابنها مجنونة؟»
يرد بهاء:
- «لا طلعت القبر، ماتت، خبطها توك توك ومالحقتش تروح تعترف بأي حاجة، والبنت مالهاش أي قرايب»
يرد صابر:
- «يادي حظك النحس، موضوع غريب أوي»
ويكمل وحيد:
- «طيب أبو البنت فين يعترف إن بنته بتمر بحالة نفسية ويقول حقيقة اغتصابها وتطلع انت براءة؟»
وبأسى يرد بهاء:
- «للأسف ماحدش يعرف هو فين لحد دلوقتي، وحتى لو عرف ييجي يعمل إيه؟ ما خلاص، تفتكر في حد ممكن يكلف نفسه ويسيب اللي وراه عشان واحد مايعرفوش ويرجع تاني؟»
يرد صابر:
- «لا طبعًا، ده لو في البيت اللي جنبه مش هيبرأه، الدنيا بقت وحشة، ومفيش خير. أنا كنت شغال مع تاجر مخدرات صبي، وكنت شاطر ودراعه اليمين، روح روح تعال تعال، وأول مصيبة قابلته صدرني وخلع وبقيت معاكم هنا وهو بره، بس خلاص أنا عرفت أصول اللعبة إيه، مش هسيبه لما أخرج وهبقى معلم كبير وتاجر أحسن منه»
حاول بهاء أن ينذره ويوضح له أن ما يفعله وينويه خطأ جسيم وعليه أن يفكر في التوبة وعدم إضرار الغير، وأن يتطلع إلى الأفضل لا أن يكون تاجر مخدرات، وأن يفكر في عائلته ونفسه والحرية التي هي أصبحت الآن قيدًا وعدم حركة، وأن يكون رجلًا صالحًا ولا بد من التفكير في الخير، وإن مع العسر يسرًا.
يتدخل في الحوار وحيد قائلًا:
- «طب مراتي ماصبرتش عليا ليه وعلى عيشتنا؟ ماقدرتش ليه تستنى شوية في العسر، ما قدرتش على العيشة الصعبة مع إني لما

اتجوزت كانت عيشتنا تمام أوي، بس ظروف المعيشة على الكل، قعدت أقولها استحملي ومشي حالك ودبري نفسك بالمصروف، وفي يوم رجعت لقيت البيت على الأرض، خدت كل العفش وعملتلي قضية تبديد وخلع وشوية قواضي كده، ولقيتني معاكم هنا»
ومر وقت طويل، وأمام مكتب وكيل النيابة تقف إحدى الفتيات في الثلاثين من العمر، ملابسها أنيقة، تجلس أمام وكيل النيابة ويفتح باب الحجرة ويدخل هشام وبجانبه أحد أمناء الشرطة، يطلب الوكيل من الأمين نزع الأصفاد من يد هشام وأن يتقدم منه، يندهش هشام فلماذا هو مطلوب أمام الوكيل، حيث يفاجئه قائلًا:
- «انت عارف يا هشام انت هنا ليه، ومين الأستاذة دي؟»
ويشير إلى الفتاة الجالسة أمامه، يرد هشام باستغراب:
- «لا يا أفندم الحقيقة مش عارف»
فيرد نبيل قائلًا:
- «دي الأستاذة اللي انت صدمتها بالعربية؛ أو بمعنى أصح اللي انت وديتها المستشفى وأنقذتها من الموت، بس ساعتها الليل والدم اللي كان على وشها خلاك مش عارفها كويس، بس الحمد لله هيا فاقت من غيبوبتها وهي الدليل على براءتك، جت واعترفت إنك مش انت اللي صدمتها وإنه شخص تاني خالص، وإنها اترمت فعلًا قدام عربيتك، وآخر حاجة فاكراها إنك شيلتها ودخلتها عربيتك، وإنك بريء»
ابتسم هشام ابتسامة عريضة تنم عن فرحةٍ داخليةٍ مكتومةٍ وحزنٍ وألمٍ تفكَّكَ إلى فرحٍ وسعادةٍ، وتقدم هشام ليقبِّل يد الفتاة امتنانًا لما فعلته معه، وأن الخير جزاءه خير، ورغم أنه طرد من عمله إلا إنه سعيد بالحرية مرة أخرى، وحياته التي رجعت له من جديد.
أعربت الفتاة عن سعادتها بأنها برأته، وأن عليه من الآن ألا يحزن أو يكون مكتئبًا أو يفكر في شيء، وأن عمله سيكون أفضل في شركتها كسائقٍ خاصٍ لها، وأنها ستكون في أتم سعادة وهو برفقتها؛ فلن تجد أفضل منه يؤتمن على حياتها ومالها وشركتها، وكانت سعادة هشام لا توصف وكأنه ولد من جديد.

شارك الفرحة أصدقاء هشام بالسجن، بسعادة وفرحة لخروجه وبراءته، وأن هذا جزاء الخير.. وعلى الرغم من هذه اللحظات الجميلة إلا إن صابر كان مستاءً وناقمًا على الجميع من التغيير الذي حدث، بعدما كانوا يؤكدون أنه لا يوجد خير، وأصبح التغيير للنقيض وأن الخير يكسب دائمًا.

حاول بهاء أن يغير وجهه نحو صابر وأن يشاركهم الفرحة، ولكن الحقد والانتقام سيطرا عليه. دعا هشام لهم جميعًا أن يفرج الله عنهم، وأن يغير أوضاعهم إلى الأفضل.

خرج هشام من محبسه، ومر وقت وزاد إعجاب الفتاة التي أنقذها هشام به واقتربا من بعضهما، حتى اكتملت سعادته وخطبها؛ فلم يسبق لها الارتباط، فكلما تقدم إليها أحد كان طمعًا فيها ليس إلا، ولذلك امتنعت من الزواج.. ولكن هشام غير وجهه نظرها وأنه لا يزال هناك أوفياء، ومن هنا وافقت على الارتباط به، واكتملت سعادتهم معًا، ومر الوقت وكانت الزيارات في السجن، وقد وجاء يوم مختلف تمامًا على وحيد حينما زارته طليقته تطلب منه السماح وأنها ظلمته كثيرًا، وكان جزاؤها بمرض خطير لم تستطع الشفاء منه، وأنها تنازلت عن كل القضايا التي رفعتها ضده، وستتم تبرئته قريبًا.

تماثل وحيد للصلح معها ودعا لها بالشفاء العاجل، واستمر صابر محاولًا أن يقنع بهاء بأنه لا يوجد خير، ولا بد من أن يكون في السجن مظاليم، ويذكره أن هشام تمت تبرئته، وأن وحيد كذلك، ولكن بهاء مظلوم ومحبوس، وهذا دليل على أنه يوجد مظاليم في الدنيا وداخل السجون، فيرد عليه بهاء بالعلم والخبرة والإيمان:

- «مش معنى إن في مظاليم في السجون أو خارج السجن إننا بدل ما نكون مظلومين نكون كمان مجرمين، وأكيد هييجي يوم وربنا يعوضنا عن الظلم ده في الدنيا أو الآخرة، ولازم نتمسك بإرادة الله»

ولم يقنع صابر بما يقوله بهاء وأنه سيظل على مبدئه حتى يخرج من السجن ويعيد ما فاته ويصبح غنيًّا، والمال فقط جواز مرور لأي هدف، واجتمع الأصدقاء بعد فترة قصيرة واكتملت سعادتهم بعدما خرج فتحي وسدد دينه بدلًا منه أحد الرجال الصالحين، وخرج وحيد

وخرج الدكتور بهاء بعدما جاء والد الفتاة المنتحرة من فرنسا، وأقر وأكد أن ابنته تعاني مرضًا نفسيًّا، وأن ما مرت به نتيجة حادثة اغتصاب، وكم من مرة حاولت الانتحار، وبالأوراق والمستندات تأكدت براءة الطبيب. واعترف الجميع أن من يفعل خيرًا لا بد من أن يراه خيرًا، إلا صابر هو الوحيد المذنب ومصر على مبدأه.
وفي زيارة له من أصدقائه الأربعة، كان الحزن والألم يشبعانه كثيرًا، وبالسؤال عن أحواله اتضح أن ابنه توفي من جرعة مخدرات زائدة؛ مما جعل صابر يغير اتجاهه وتفكيره ويرجو الله أن يسامحه، وأن هذا عقاب على أفعاله وما يريد تدبيره بعد خروجه من السجن، وأن الطبيب هو الأصح قولًا وتفكيرًا فيهم؛ وبالعلم والمعرفة والتقرب إلى الله يردك إلى الطريق السليم، وأصبح الآن كل ما يفعله هو التقرب إلى الله، يصلي ويدعو أن يسامحه الله ويغفر له ولابنه.
هون عليه أصدقاؤه والطبيب ودعوا له أن يخفف عنه سجنه وأن يخرج ويصبح رجلًا صالحًا، وأن الخير لفاعله، ومن يفعل خيرًا وينوي خيرًا يراه عند الله خيرًا، والسجن ليس للجميع ولكن لمن يخطئ فقط، وإن كان مظلومًا سيعوضه الله خيرًا.

النهاية

بالمرصاد

مقدمة

إياك أن تتخيل أنك ستهرب من مصيرك، وأنك سائر في الحياة طاغيًا، وأن لك عصبة تحميك أو مالًا يسندك أو وضعًا يرعاك؛ فأنت في الأصل بشر، ومهما تجملت بالأحاسيس والشعور الطيب وتخفي وراءك خبثًا وحقدًا وغدرًا ستنال جزاءك، ومهما كان لك من قوة أو نفوذ وحرس يحمونك، يجب أن تعلم جيدًا أن هناك قوة أكبر وأعظم منك خلقتك، وسيأتي يوم تحاسب على كم أفعالك سواءً كانت حسنة أو سيئة، وإن ربك لبالمرصاد.

المؤلف

***

هذه هي الحياة بحلوها ومرها، نعيشها كما تكون، ولكن كل ما يحيط بنا من فعل الإنسان نفسه وليس أحد مسئولًا عن تصرفاته، نحن الذين نضع لأنفسنا المصير المحتوم.
وهذا ما فعله السيد رضوان المسيطر بماله، الجاحد المغرور المتكبر ذو الجبروت، المستبد المستغل.. شخصية مركبة، كل الصفات السيئة تتلخص فيه؛ يتاجر في كل شيء: الأعضاء، الحريم، المخدرات، السلاح.. كل ما يدر مالًا، كل شيء يسخره لنفسه، يرى نفسه ساحرًا يأتي بكل ما يريده ببساطة، وإن عجز عن تحقيق أي شيء وتنفيذه فعليه أن يمتلكه بالقتل؛ فهو الحل الأخير للوصول إلى أهدافه.
تزوج امرأة بسيطة، وشدد عليها عدم الإنجاب، فعارضته وأصبحت حاملًا في الشهور الأولى، واعتبر رضوان ذلك تحديًا لن يقبله أبدًا ولم يقبله قط مهما بلغ الأمر، ولجبروته وكبريائه صمم، بل بالأمر المباشر قرر أن تنهي زوجته فاطمة هذا الحمل وتتخلص من الجنين، حتى لو كانت حياتها ثمنًا لذلك، وإن لم تنصع إليه سيكون قتلها حتميًّا بلا جدال، فلا يوجد عزيز لديه.
خافت فاطمة واستسلمت للأمر الواقع وذهبت لبلدتها للتخلص من الجنين حتى لا يشعر أحد من حوله ويكون في سرية، ولم ينتهِ الأمر بخير؛ فقد قارفت الحياة.
لم يكن ذلك يؤثر عليه نهائيًّا، بل تزوج بعدها بأيام بأخرى أصغر سنًّا، وفترة وتزوج الثانية، وعاش في المتعة والمرح بين الكباريهات واللهو ولعب الورق وخلافه، لم يلتفت إلى أي شيء في الدنيا إلا لنفسه رغم كبر سنه، كان القائد في كل شيء، وكلمته سيف على من يعمل معه، وعلى زوجته الطاعة، الطاعة العمياء؛ مما جعل المقربين منه والعاملين لديه يستاءون من تصرفاته، ولكن لا مفر، كان يشعر بأنه ملك زمانه، كان يستعيد أساطير الزمن الماضي كشهرزاد وشهريار وملوك العالم، كان يرى أنه الصخرة التي لا يستطيع أحد أن يحركها، وجعل لنفسه حكومةً خاصة وعالمًا خاصًّا يتحكم فيه كيفما يشاء، يصدر القانون ويحكم وينفذ الحكم على من يريد.

مر الزمن وأنجب طفلًا من إحدى زوجاته الاثنتين برضاه حتى يمتلك الثروة بعده، الثروة التي جاءت من خلال التعامل غير المشروع والفساد والحرام، إلخ. كبر الطفل سامح وأصبح شابًا، يدير بعض أمور أبيه المشبوهة ويتمتع بصفاته السيئة في معاملة الأخرين والتحكم فيهم؛ فقد أصبح نسخة كربونية من رضوان، تجاوز كل الحدود، وتمتع بالبذخ والمتعة الحرام ولعب الورق والكباريهات، وكل أنواع المخدرات إلخ.
فوالده الساحر الذي يحقق له كل أمنياته، وآماله تجاوزت كل الخطوط الحمراء، حتى أدى ذلك إلى اغتصاب إحدى الفتيات وكأن ذلك حق مكتسب لكونه ابن السيد رضوان، ولا يستطيع أحد إدانته أو معاقبته على أي فعل يفعله ضد القانون أو أي إنسان، واعتبر أن أصحاب النفوذ والمال لا يحاكمون، وعليهم أن يفعلوا ما يشاءون من تصرفات فوق القانون.
حاولت الفتاة مرارًا التوسل إلى سامح بأن تكون خادمة له مقابل الزواج بها؛ فكان رده أنه لم ولن يتزوج، فلماذا يتزوج وكل شيء يريده موجود؟ الفتيات والمال والحياة المرفهة، لماذا يقيد نفسه بزوجة واحدة وهو يستطيع التمتع بأية فتاة يريدها في أي وقت يريده؟ فقررت الفتاة اللجوء إلى والده رضوان عسى أن يعاقب ابنه على ما فعله ويوجهه إلى الطريق السليم، والاعتراف بخطئه والزواج بها، وللأسف، كل ما قالته هالة لرضوان لم يلفت انتباهه أو يركز فيه أو ينظر حتى إليها وهي تتحدث معه، وكأن ما تقوله مثل دخان الشيشة الذي يشد أنفاسه أثناء الحوار معها، وما كان بعد أن انتهى من شد أنفاس الدخان إلى قراره الذي لا رجعه فيه، وبالأمر المباشر لا بد وأن تستجيب وتنهي حملها من ابنه وتتركه نهائيًّا، وتنساه وكأنها لم تعرفه أو تقابله من قبل، وأن قراره ذلك رأفة بها وإنقاذ لها وأنه رحيم بها، وعليها أن تستجيب وإلا سيكون قراره الثاني، هو قتلهاوالخلاص منها نهائيًّا، وأن هذا الحل أسهل له، ولكنه ترك لها الفرصة كي تتمتع بالحياة.

ولم يكن لهالة أي رد إلا البكاء أمام الصخرة التي لم يستطع أحد أن يحركها، فبالنسبة إلى رضوان هو الحل الأمثل السريع. أسرعت هالة إلى سامح وعادت بالتوسل إليه وأن ما يفعله والده ظلم ضد القانون والإنسانية والدين، وعقابه عند الله كبير، وتوسلت إليه أن يكون رحيمًا بها ولا يفعل مثل والده، وإلا ستبلغ الشرطة وستعلم الجميع وتكون فضيحة أمام كل الناس، وسيؤثر ذلك على عمله وسيعرضه لمشكلات كبيرة، وألا يستخفوا بها لكونها فقيرة وأسرتها ضعيفة بلا حيلة، وأنه لم يخفها كل ما قاله السيد رضوان.

نقل سامح ما قالته له هالة إلى والده رضوان، واعتبره رضوان تحديًا لم يسبق أن فعله أحد له، وأنها لو فعلت ذلك ستجعل الآخرين يتطاولون عليه، وتفتح للبعض باب الحوار والاعتراض عليه، وهو لا يقبل بذلك؛ فقرر أن يكون قراره الثاني هو قتل هالة ومن معها بالمنزل سواءً كانت والدتها أو أي شخص يشهد على الواقعة.

جمع رجاله وقصد شقة هالة كي ينفذ حكم الإعدام عليها ومن معها، ولكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، وكانت الطامة الكبرى أن فوجئ رضوان بأن والدة هالة هي زوجته الأولى فاطمة التي سمع أنها ماتت أثناء إجهاضها نفسها والتخلص من الجنين، وفكت فاطمة ذهوله بأنها أخفت عليه الأمر وأنها احتفظت بالجنين حتى لا يقتلها ويقتل الجنين الذي لا يعلم إن كان ولدًا أو بنتًا، وقررت أن تحتفظ به!

كانت صدمة شديدة على رضوان ما فعلته فاطمة، والصدمة الأخرى أن ابنه مغتصب أخته وهي حامل منه!

وجلس يفكر، هل يقتل ابنته وحفيده وزوجته ويتخلص من ذلك العار، أو يقتل ابنته فقط، ماذا يفعل؟

تشتت فكرة، وجاء القدر لينهي الأمر؛ فقد قتل ابنه على يد أحد أعدائه، وتهالك رضوان لهذا الحدث، وتقاعد هزيلًا، ورأى أن ذلك من فعل نياته وما فعله بالبشر وكبريائه وغروره، استغلت زوجتاه الاثنتين صدماته في التآمر مع أحد الرجال المقربين من رضوان، وتم الاستحواذ على الكثير من ثروة رضوان بسرقة ختمه، وهربت الزوجتان مع آخرين، توالت الصدمات وعلم رضوان بإجهاض ابنته

هالة؛ فرأى أن يصلح ما فاته وما افتراه طيلة عمره، وأن يعطي باقي ما تبقى من ثروة إلى ابنته عوضًا على ما فعله أخوها لها بدون قصد، فتخلص رضوان من كل ما يمتلكه وحوله إلى مال، وتقدم به إلى هالة قاصدًا تعويضها، وأعلمها أنه حوَّل كل ما يملكه لأموال حتى لا تتعرض للنهب، وأنها حرة التصرف في المال عوضًا عمَّا كان سببًا فيه.

أخذت فاطمة وهالة المال، وقامتا بطرد رضوان من المكان وسط ذهوله، فكيف تمنع فاطمة رضوان من الوجود مع ابنته؟

وكانت المفاجأة الكبرى التي أقعدت رضوان وأوقعته أرضًا مصابًا بشلل تام وهو ما حكته له فاطمة من أن هالة ليست ابنته، ولأنه كان بعيدًا عنها أثناء محاولتها الخلاص من الجنين، ولم يعر الأمر اهتمامًا عندما بلغه أحد الأشخاص أن فاطمة توفيت أثناء عملية الإجهاض..

لم يدرك ما حدث بعد ذلك وما فعلته، بعد أن أجهدت نفسها ومات الجنين، وهو أن تخفي وجودها؛ فقد أفاقت لفعلتها الخطأ في حق يتعارض مع الدين والقانون، وأنها خافت من الإنسان ولم تنظر إلى عقاب الله، وأن رضوان هو الجاني ورجوعها إليه خطأ آخر تقترفه؛ فعزمت النية على أن تبتعد عنه وتدبر وفاتها وأنها تعلم أنه لم يعر للأمر انتباهًا، فهو في عالم آخر، وبذلك تفر منه، وأن هالة ما هي إلا ابنة أختها التي توفيت وهي تنجبها، وتبنتها فاطمة؛ فلم يكن لديها في الحياة أم أو أب، إلا خالتها فاطمة، وأخفت البداية الحقيقية على رضوان حتى تنتقم منه في ذاته، وأن فعلة ابنه ستهلكه.

وساعدها القدر كي تأخذ ثروته، لتعوض هالة عما فعله، إلا إن فاطمة قررت أن تكون هذه الثروة تبرعات لمن يستحق، لأنها لا تعد هذه الثروة من العناء والتعب، ولكنها حصيلة الفساد والدم، ومن جاء هباءً يذهب هباءً، وإذا كان القانون غافلًا بعض الشيء؛ فقانون الله باقٍ وعقابه شديد على الظالمين المفسدين.

مهما بلغ الأمر الذي يقودنا إلى الهلاك، فعلينا أن ننتبه ونعي ما نفعل جيدًا.

النهاية

نصيحة مفقودة

مقدمة

المرأة أم، ينبوع حنان ودفء وطمأنينة، كانت وما زالت وستظل حتى نهاية الحياة أمًّا لأولادها وزوجها؛ فهي جزء كبير من العمود الفقري للأسرة، وعندما تترك المنزل فارقة للحياة، ينتهِ الكثير من روح الحياة بعدم وجودها.

المؤلف

***

تركت وراءها فتاة في عمر الشباب مقبلة على الزواج، يحاول الأب بكل جهد أن يعيل ابنته الوحيدة محاولًا أن يعوضها عمَّا تركته الأم، فلم يقدم على الزواج وظل يراعي ابنته حتى لا تشعر بأي نقصان، وأن يحل محل الأب والأم معًا.

عانى الأب كثيرًا ولم يلتفت إلى نفسه أو متعته الشخصية، حتى تذكره ابنته بكل خير، وأن حب والدتها ظل داخل قلبه لم يفارقه لحظة؛ فكانت نعم الزوجة، لم تحركه أية امرأة، وابنته هي الزهرة التي تتفتح كل يوم أمامه وتروي حبه وتغنيه عن كل شيء في حياته، وكان حب ابنته له كحب زوجته، التي كانت آخر كلماتها أن يكمل مسيرتها في تربية ابنته ولا يتركها، وعن نفسه لم يحتج هذه العبارة؛ فقد عزم النية منذ الدقائق الأولى لوفاة زوجته أن يكرس حياته لابنته ويظل صامدًا حتى يصل بها إلى منزل الزوجية مع من تريد، سعيدة لا تشعر بأي ضيق أو تغير، وربما يعوضها عن عدم وجود أمها؛ فقد كان يحل محل الأم في خارج وداخل المنزل حتى لا تشعر بضيق، ويتركها لتكمل دراستها وتتفوق أيضًا.. حتى جاءت الساعة الفارقة، التي لم يقدرها الأب ولم يحسب لها حسابًا، وهي زواج ابنته، حينذاك وجد القصور في نفسه وأنه لا بد من أن تكون الأم موجودة؛ فهي أساس هذا اليوم، فبدأ يحدث نفسه: ماذا يفعل مع ابنته، كيف ينصحها، كيف يوجهها توجيه الأم الذي كان مفترضًا أن يحدث، كيف يقول لها وهو بالنسبة لها في كل الأحوال رجل؟ وهناك الكثير مما تحتاجه ابنته، تحتاج إلى أم تنصح وترشد وتوجه، لا يستطيع الرجل في مثل هذه الحالات أن يقول أو حتى يسمعها خدشًا للحياء واحتراما لأنوثتها، وكانت الفتاة أيضًا في أمر محير، لمن تقول وتصرح؟ والأم الوحيدة المفوضة لهذا الأمر، ومن مهام أمومتها أن تسمع دون حرج؛ فهي

تحتاج إلى أم، لم تدرك يومًا أنها ستستعيد ذاكرتها في يومٍ عصيبٍ بدلًا من أن يكون يومًا سعيدًا عليها.
تضارب الحوار بين الفتاة مع نفسها وصور أمها، والأب مع نفسه وصورة زوجته المعلقة على الحائط يحتضنها الشريط الأسود، وما أشد صعوبة الموقف، حتى تمالك الأب نفسه، واقتحم السد المنيع، وأنه لا بد من أن يكمل مسيرة الحياة والوصية التي أوصته بها زوجته؛ فخرج من حجرته ليحدث ابنته عن ماذا تفعل وكيف في أمور شتى، وخرجت الفتاة من دائرة الخجل والكتمان والتي رأت أن والدها هو السند والدليل، ولا يوجد غيره يريد لها الخير وسيرشدها إلى الطريق السليم مهما كان الأمر، وبدأت تحكي له بدون حرج، حتى انتهى الحوار بينهما ورجع الزوج لصورة زوجته وقد أوفى عهده معها، ولكنها تركت له حملًا ثقيلًا، ولا غنى عن المرأة الأم في حياة الرجل وحياة أبنائها، والتي هي بمنزلة الدماء التي تجري في عروق كل إنسان، ولتكن حواء.

النهاية

ذكاء الوكيل

مقدمة

وكثيرًا ما تقف الأقدار، مهما حاولت أن تغير ظروفك وتتخيل أنك فعلت الصواب، ولا يوجد أي عارض، وأنك في سبيل إلى الوصول لما أردت، ولكن القدر يختلف معك؛ بل يثبت أنك لم تفعل شيئًا، وإن ربك لبالمرصاد.

المؤلف

***

كثيرًا ما تضيق على الإنسان الظروف الحياتية، ربما من تصرفات وضعت نفسك فيها بإرادتك أو رغمًا عنك، فتتحمل المسئولية وتكمل ما بدأت فيه، أو تتنازل عنه وتبتعد وتتراجع ولا تخوض في أمر لم تختره لنفسك، تضارب الأفعال وكيفية الخلاص من ألمك وحياتك التي أصبحت بلا طعم أو قيمة؛ فلم يكن المال والجاه والوضع المناسب كفيلًا لردع أو تناسي ما أنت فيه من عذاب اللا وجود، وأنك حتى تملك ما يكفيك؛ فدائمًا شخص ما يقودك ويأمرك ويعذبك بحواره ومعاملته الجافة، وأنه الأفضل والأقوى، وما أنت فيه ليس إلا صورة وهمية يملكها هو فقط، بل يملك نفسك.. فما أسوأ من أن يمتلكك شخص ما، ويعد عليك أنفاسك وحركاتك وخطواتك، يحاسبك على كل شيء: كل دقيقة تعيشها وكل نفس تتنفسه، لمجرد أنه يملك المال والجاه وكل ما أنت فيه، وترى نفسك في النهاية بلا قيمة، مجرد دمية يحركها اشتراها وقتما رأى أنه يريد اللعب بها، ومن الممكن أن يرميها وقتما يشاء ويشتري غيرها، ويرميها أيضا، وحينما ترى أنك لعبة في يد غيرك وجاء وقت رميك في سلة المهملات، تشتد غيظًا ويأسًا، إما أن ترجع كما كنت وتبدأ من جديد وتحاول أن تستفيد من درس الماضي وتقنع بأنك إنسان لا تباع ولا تشترى وتبدأ تحقيق ذاتك، أو تصبح مهلهل التفكير وتريد الانتقام ممن له السلطة عليك، وتأخذ كل شيء منه كأنه حق مكتسب ردًّا على ما فعله معك من إهانة وإذلال، وبدلًا من أن تمتثل إلى قدرك وتعاند نفسك ويهيئ لك شيطانك أنك ستكون الأقوى والأفضل.

وهذا ما كان يفكر فيه جمال وهو في مقر عمله بأحد الكازينوهات التي يديرها، وفي مكتبه الخاص شاهد الفيلم الذي اختار أن يكون ممثلًا فيه، وبدأ يختلف مع مخرج العمل في دوره وأن يكون هو بطل

العمل، يقف وكيل النيابة أمام جمال في صالة الشقة حيث التحقيقات، ثم يتجه إلى حجرة المجني عليها وأمامه جمال زوج أريج.
يقول وكيل النيابة:
- «أستاذ جمال، انت قلت في محضر الشرطة إنك جيت الساعة ٢ بالليل، دخلت حجرة نومك لقيت المدام نايمة، مارضيتش تصحيها، غيرت هدومك ونمت على طول والمدام ماحستش بيك، ماحاولتِش تصحيها يعني؟ هي من عادتها تنام وانت تيجي وماتحسش بيك؟»
فيرد جمال قائلًا:
- «أنا ماحاولتش أعمل أي صوت عشان أسيبها تنام»
ينظر الوكيل أثناء التحقيق إلى جهاز اختبار سكر موضوع على تسريحة غرفة نوم المجني عليها ويقول:
- «انت متعود تيجي في الوقت ده؟ والمفروض بحكم عملك كصاحب كازينو المفروض إنه بيشطب الصبح»
يصمت لثوان ويرد:
- «أنا اليوم ده كنت تعبان وقلتلهم في الشغل إني مروح»
يفاجئه الوكيل:
- «إنما قولي يا أستاذ جمال، انت مريض سكر؟»
بتوتر يرد جمال:
- «آه، آه عندي السكر»
يبتسم الوكيل.
- «فكرني أقيس السكر، بيخليني أقوم كذا مرة بالليل، انت بتقوم كام مرة بالليل؟»
يصمت جمال قليلًا وكأنه يفكر في الرد:
- «أنا بقوم مرتين بالليل»
بنظره شك يرد الوكيل:

- «طيب لما قمت مرتين بالليل مافكرتش ليه مراتك لسة نايمة على جانبها وماتحركتش وحتى ماقلقتش من نومها؟»
يبرر جمال:
- «ماخدتش بالي لإن نومها تقيل»
- «قولي يا أستاذ جمال، انت حد غيرك والمدام معاه مفتاح الشقة أو العربية؟»
يرد جمال:
- «أنا مفاتيحي مش بسيبها من إيدي لإنها دهب، وبركن عربيتي تحت العمارة، العربية الفضي اللي تحت، وفي الشغل ليا مكان مخصوص، وحتى لما بحب أغسل العربية بفتحها وأسيبها للسايس يغسلها وآخد المفاتيح.. والمدام مفاتيح الشقة معاها وماعهاش مفتاح العربية لإنها مابتعرفش تسوق»
- «تمام كمل، جيت ولقيتها نايمة نمت جنبها، وقمت الصبح الساعة ٧، هو ده معادك إنك تصحى الساعة دي؟»
يرد جمال قائلًا:
- «أنا قلقت وقلت أصحيها، بزقها كده لقيتها ميتة بالشكل ده، اتصلت بالإسعاف والنجدة، وجه رئيس المباحث وحضرتك بعديه»
يسأله الوكيل:
- «وإيه إلى خلاك تصحيها طالما لسة بدري، إشمعنى المرة دي قررت إنك تصحيها؟»
يرد قائلًا:
- «قلقت عليها قلت أصحيها عادي»
يكمل الوكيل:

- «تفتكر المدام ليها أعداء مثلًا، أو في أي مشكلة بينها وبين حد؟ لإن مافيش مسروقات، يعني اللي دخل وخنق مراتك دخل بمفتاح الشقة؛ عارفكم كويس»

يهز جمال رأسه قائلًا:

- «ممكن يكون حد خده منها وعمل عليه»

يكمل الوكيل:

- «تفتكر اللي خنقها ليه نيمها على جنبها؟ ما كان سابها وخلاص»

يرد جمال ووجهه في الأرض:

- «ماعرفش»

يفاجئه الوكيل:

- «بس أنا عارف، عارف مين اللي قتل مراتك!»

باندهاش وخوف وتوتر ظاهر على وجه جمال:

- «مين؟!»

يتقدم الوكيل من جمال وبثقة:

- «أستاذ جمال، أنا أتهمك بقتل زوجتك وعندي الدليل، وانت بقى هتشرحلنا إزاي ده حصل وليه»

بتوتر واندهاش:

- «أنا مش ممكن أقتلها، وإيه الدليل على إني قتلتها؟»

- «أقولك، وده طبعًا من سوء حظك، أولًا ادعيت إنك مريض سكر عشان تثبت إنك جيت بدري وكنت تعبان، كنت فاكر إن ده في مصلحتك، وأنا جاريتك وخليتك تعترف إنك قمت مرتين بالليل وسيبت مراتك زي ما هيا نايمة على جنبها، وماشكيتش في حاجة وده غريب أوي إنه من ساعة ما جيت وغيرت هدومك ونمت وقمت مرتين وهيا لسة نايمة، عارف إنك ممكن تقول إنه مش دليل؛ بس في

الدليل الأكبر من كده، انت قلت إنك نمت وصحيت الصبح الساعة ٧ واتصلت بالإسعاف وبالشرطة صح؟»

يرد جمال بثقة:

- «أيوه صح»

يكمل الوكيل حواره:

- «وأكدت إنك نمت ولسة صاحي وماحدش معاه مفتاح عربيتك، ولحظك التعس إني وأنا طالع سندت على عربيتك الفضي اللي قدام البيت وكانت سخنة جدًّا، ومش معقول من الساعة ٢ بالليل لحد الساعة ٧ صباحًا في الشتاء وتفضل العربية سخنة للدرجة دي، وخبراءنا وأنا بكلمك اتاكدوا إن العربية دي بالكتير جدًّا لسة راكنة من وقت بسيط، يبقى حضرتك لسة جاي من بره ومانمتش هنا خالص، وفي حد مشترك معاك في قتل المدام؛ يا إما انت اللي قتلتها. وقت الوفاة كان الساعة واحدة مساءً يعني بعد وصولك بساعة، قتلتها واستنيت شوية ونزلت ورجعت الساعة ٧ صباحًا، ومنتظر منك الإجابة على السؤال ده: قتلتها ليه، وليه نزلت وجيت تاني؟ مابلغتش ليه لما قتلتها في نفس الوقت»

فيرد جمال منهارًا:

- «أيوه أيوه قتلتها، وكنت بحبها، بس هيا كرهتني في الدنيا واللي فيها، ادتني حاجات كتير، شغل وفلوس، بس خدت مني كرامتي، كانت دايمًا بتعايرني وتقولي: «أنا اللي عملتك، أنا اللي عملتك» كنت بحس إن الفلوس اللي معايا مش بتاعتي، هدومي اللي عليا مش بتاعتي، حتى وأنا باكل بحس إن الأكل محسوب عليا، العربية بحس إني السواق بتاعها، والشقة أنا فيها غريب. كلامها هو اللي ماشي، كل القرارات باخدها منها، دايمًا بسمع منها وأنفذ، آلة شغالة عندها، كنت شغال بأكلي وشربي، حتى الأكل والشرب بتختاره، قررت

أخلص منها بس مافكرتش، كنت فاكر الموضوع سهل ومفيش أي دليل ضدي، أنا مش مريض بالسكر؛ هيا اللي مريضة بالسكر، بس أنا لقيتها فرصة لما حضرتك قلتلي كده عشان تكون حجة إني تعبت.

جيت من الشغل الساعة واحدة، وحصلت مشادة بيني وبينها كالمعتاد، بس المرة دي كنت ناوي آخد حقي منها برغم حبي ليها، والشيطان هيألي الموضوع سهل.

خنقتها، شفت شكلها، ماقدرتش أستحمل إني أشوفها كده وقلت لو بلغت حالًا هتعرفوا إنها لسة ميتة وتشكوا فيا، قلت أنيمها على جنبها وأعمل الحكاية دي، ونزلت سهرت بره بعيد عن المنطقة وناس ماتعرفنيش عشان مايكونش دليل عليا، ورجعت واتصلت بالإسعاف وبالشرطة وحصل اللي حصل.

بس مافكرتش أبدًا إن موضوع العربية ده هيثبت عليا الجريمة أو هكون موضع شك من حضرتك!»

يرد الوكيل:

- «وأنا كمان الحقيقة ماكنتش متوقع كده، بس القدر هو اللي خلاني أسند على عربيتك وأنا طالع مع إني ماكنتش أعرف عربية مين، وكلامك أكد شكوكي فيك، اقبضوا عليه»

النهاية

إعادة تدوير

مقدمة

عندما نرى الأمور تيبست إلى حد كبير يجب أن نفكر في اتجاه آخر، أو نرى نقاط الخطأ فيما نفعله، ونتدارك الأمر ونعيد تهيئته من جديد، حتى ننضج بالفكر أو بالعمل، وكل شيء من البداية لا بد وأن يكون على مسار صحيح، وهذا ما يجعل الأمر سهلًا وناجحًا، العلم والمعرفة والتربية السليمة هم أساس كل شيء حيوي وجاد ونافع، والاهتمام بذلك هو الأهم والركيزة الأولى التي تبني مجتمعًا واعيًا مدركًا لكل شيء، وحتى أن تكون الأسر متفهمة كيفية تربية أبنائهم، ومن هنا نحتاج إلى الرجوع إلى إعادة تدوير، ونبدأ من جديد حياة جديدة مشرقة.

المؤلف

***

- «أنا ماكنتش متطمن خالص، كنت حاسس إن هيحصلها حاجة، كل الشواهد وكل اللي حواليا بيقولوا كده، إحنا ناس فقراء أوي، ماعندناش اللي نسند عليه، لا فلوس ولا نفوذ ولا قوة، وهتيجي منين القوة طالما مش لاقيين ناكل؟
حتى الكلام مش قادرين نقوله عشان ماتعلمناش نتكلم، ماكانش معانا فلوس نكمل تعليمنا، يا دوب بنفك الخط زي ما بيقولوا، حتى ماتعلمناش نقول رأينا، مانعرفش نقول لأ ولا لينا رأي، ولا نقدر نقول إلا الآه، هيا بس اللي ممكن تتقال، آه الوجع.
كنت أعمل إيه وأنا شايفها بتموت قدامي وماحدش سائل فيها في المستشفى الحكومي؟ ومستشفى حكومي يعني فقير؛ يعني مش بني آدم عادي، رغم إن اللي شغالين فيه برضه متوسطي الحال، بس بيعتبروا المريض أقل منهم، مريض عادي، كنت أعمل إيه؟ كان لازم آخدها بس مين يعالجها ويهتم بيها؟ مافيش غير مستشفى خمس نجوم، مكان بالفلوس والدفع كاش، مش مهم هتعمل إيه، المهم الدفع أولًا.. كنت أعمل إيه، أسيب أمي تموت؟ مافكرتش فين ألاقي الفلوس دي، مش مهم المكان فين، المهم ألاقي في فلوس.
وهيألي الشيطان إني أدخل أي شقة، وأسرق زي ما تيجي، وفعلًا حصل بس ماتت برضه، ماتت وعرفت ساعتها إنها ماتت عشان مافيش فلوس، مافيش نفوذ، مافيش ضهر ولا محسوبية ولا واسطة، وضاعت اللي أنا كنت عايش عشانها، وساعتها مابقاش فارق معايا حاجة؛ أتحبس عادي، أخرج من السجن برضه عادي، جوا برا عادي.. بس جوا كل واحد صريح مع نفسه مافيش حاجة يخبيها أو يكدب، كل واحد عارف حقيقة التاني وكلنا واحد، كلنا مجرمين بس بأشكال مختلفة، مافيش حد أحسن من حد، والعلاج على نفقة الدولة بيكون علاج كويس مش زي بره، وانت تهمتك إيه؟»
فيرد آخر:
- «زي كل الناس عايز أعيش والعيال تتربى، بس إزاي أربع عيال وأمهم اللي يجازيها بقى، اشتغلت الصبح وبالليل ماكنتش بشوف

الناس في الشارع ولا بحس بطلوع الشمس والزحمة، كنت محبوس في الشغل الصبح وبالليل.. نسيت شكل العيال، نسيت أساميهم حتى، ماكنتش بعرف للأكل طعم وهل شبعت ولا لأ، وكل يوم أسمع مشكلة جديدة وأسعار جديدة وعايزين عايزين، هيا دي الكلمة الوحيدة اللي كنت بسمعها، وأقول إشمعنى أنا اللي كده؟ في ناس كتير مرتاحة وبرضه في نفس البلد والمكان، وأندب حظي وأقول الله يجازيها أم العيال، كل سنة تجيب عيل؛ ماهي جاهلة وأنا كنت جاهل زيها، وحطت فوق دماغي وكل يوم الحالة بتضيق، لغاية ما لقيت نفسي على القهوة بكلم نفسي، وتاجر المخدرات بيرد عليا، ماعرفوش بس هو اتعرف عليا من شكلي، عرف إني مش لاقي حتى تمن كوباية الشاي، وكنت صيدة سهلة بالنسباله.
وبدأت أعيش شوية، عارف إنها فلوس حرام بس أعمل إيه يعني، العيال تموت من الجوع؟ صحيح غلطتي بس لازم أتصرف، وسألت نفسي ناكل حرام ولا نموت من الجوع؟ ولقيت نفسي هنا»
فيرد آخر:
- «أنا بقى مشكلتي مش فلوس زيكم ولا عيشة كويسة، أنا مشكلتي الحب، ماعرفتش إزاي أحب، كبريائي وغروري عشان ابن ناس أو بيقولوا إني ابن ناس، بس أنا ماعرفتش الكلمة دي صح ولا غلط إلا لما قتلتها لإني حبيتها، وكرامتي أو إني كنت فاكر إني عشان أحفظ كرامتي وغيرتي لازم أقتلها، لازم أقتلها لأنها جارتني، وكنت فاكر ده حب بس هيا حبت واحد تاني أقل مني بكتير ماديًّا، بس حبته وولعت قلبي من جوا، وقعدت أفكر، ماكنتش بنام، إزاي تحب غيري؟ لازم تكون ليا معايا، وقررت إنها ماتكنش لحد، يا إما أنا يا ماتكنش لحد، وطبعًا ساعدني الشيطان مساعدة إنما إيه، كإننا إخوات، وساعتها بس فقت وعرفت إني مش ابن ناس زي ما كان الناس بيقولوا، ومحتاج أو كنت محتاج تربية أحسن وأفضل بكتير، تعرفني إيه معنى الحب والتضحية»
ويكمل آخر:

- «أنا بقى ضحيت عشان إخواتي البنات بعد ما راح الضهر والسند، ما هو الأب ضهر وسند، والحقيقة كان سند فعلًا مش أي راجل وبس، كان حنين جدًّا وبيحبنا أوي، وكنت لازم أكون زيه وأعوض إخواتي عن فراقه بعد أمي ما ماتت هيا كمان، عملت المستحيل إني أربيهم كويس، ضحيت بكل حاجة؛ سيبت التعليم وسيبت أمنياتي وتفرغت ليهم بس، لحد ما ضهري انكسر من التعب، وبرضه مش مكفي احتياجاتهم، وبدأت أدور على شغل تاني أو أي حاجة تجيب فلوس، أي فرصة بس تكون أمان.

خفت على إخواتي، أعمل غلط وأسيبهم يتبهدلوا بعدي ويضيعوا، وفعلًا جت الفرصة لقيت واحدة ست كبيرة في السن قد عمري مرتين، يعني أنا في سن ابنها وأقل، كانت بتتكلم بصعوبة من طقم السنان اللي مركباه، بس معاها فلوس كتير من غير عدد، ومالهاش حد، وكان عرض وطلب، وافقت على طول، فرصة وجتلي وقلت أهي زي السجن، بس الفرق إنه سجن مع الناس اللي برا وفي وسط إخواتي، وبرغم إنها ست كبيرة بس كانت عايقة في نفسها والرجالة بتجري وراها عشان فلوسها، وهي مبسوطة إنها رجعت كام سنة ورا بغزل الرجالة ليها، ماكانش هاممها إنهم بيضحكوا عليها، المهم عندها تحس إنها مرغوبة وعايزة تروح هنا وهنا، وكإني مش موجود أصلًا، ولأني راجل شرقي مافكرتش إنها وسيلة وصفقة وبس، تخيلت إنها مراتي فعلًا، وخدتني الشهامة وبغير عليها، شوف العبط! مارضيتش إنها تروح هنا وهناك وأنا في البيت وحاسس إنها مع راجل تاني، اشتديت عليها وأهانتني طبعًا وانتوا عارفين قالت إيه، ضربتها وطلعت غيظي فيها، ماستحملتش والجيران تدخلوا وراحت المستشفى، وقعدت فيه شهرين طبعًا عشان ست كبيرة، كل حاجة فيها اتكسرت وناس كتير طبعًا عايزين الولاء منها شجعوها تعملِّي قضية إني سرقتها ولما اتخانقت معايا ضربتها، وادعت إن كان في دهب في الشقة، ده غير قضية الضرب، ولإني طبعًا صغير في السن وكيل النيابة صدقها، شاب طمعان فيها وعايز يسرقها، والموضوع

ماعرفتش أطلع منه وبقيت معاكم هنا، وانت يا دكتور سمعنا إنك دكتور، مصيبتك إيه؟»
فيرد قائلًا الطبيب:
- «دكتور، أنا فعلًا كنت دكتور قبل ما أشرف معاكم هنا، بس القانون مايعرفش الدكتور من أي مهنة تانية، كلنا عند القانون سواء وماحدش معصوم من الخطأ، الموضوع دوافع وظروف حياتية مش أكتر، وعشان كنت الوحيد لأهلي وكنت عايش في الأرياف، كنت طوع أبويا وأمي وكنت انطوائي شوية، وأبويا وأمي الله يرحمهم كانوا خايفين عليا أوي، وكنت شاطر أوي في الدراسة؛ ماهو مافيش حاجة شاغلاني إلا الدراسة بس، مافيش أصحاب زي القاهرة هنا ولا أماكن فسح، يعني الظروف كانت مساعداني، وكنت بخاف من أبويا أوي؛ كان صعب في تعامله، ولما انتقلت للجامعة في القاهرة كنت برضه ماشي على تعليماته، والطلاب اللي معايا في السكن زيي تمام أرياف برضه، وكان همنا الدراسة بس، ماهي كليه قمة وصعبة ولازم تفرغ تام، مافيش وقت للهزار.. وقعدت سنين الدراسة بين الدراسة وزيارة البلد في الأجازات، لحد ما اتخرجت بتقدير جيد جدًّا واشتغلت في مستشفى خاص، وأثبتّ وجودي لغاية ما أصبحت رئيس قسم الجراحة في وقت قليل جدًّا، وأبويا قالي لغاية كده خلاص، جه الوقت اللي تتجوز فيه بنت عمك، ووفرلي كل حاجة وكمان أكدلي إن جواز القرايب أفضل من جوازي من بنت ماعرفش عنها حاجة، وبيني وبينكم قلت آه أحسن، بس إيه بنت عمي دي ماشفتهاش طول عمرها إلا كام مرة، يعني مافتكرش شكلها لما كبرت، ما هو أنا ماكنش همي إلا التعليم بس، المهم حصل واتجوزتها، هي فعلًا جميلة، ونزلت معايا القاهرة وبدأت أيام العسل اللي بيقولوا عليه، مر أسبوع ومش عارف أتعامل معاها، خايفة تقرب مني، واكتشفت المصيبة الكبرى، من خوف عمي ومرات عمي عليها ولإنها عندها تلت إخوات بنات غيرها كان تفكيرهم ضيق، أو من خوفهم عليهم ربوهم غلط وإن الراجل ده خط أحمر ممنوع الاقتراب منه، ماحدش يشوف وشك أو يلمسك، وإن الراجل عيب، مافرقوش بين الزوج والأخ والصديق،

وقعدت في معاناة طويلة لحد ما جه يوم الأعجوبة وحصل، بس إيه كان يوم حرب وكإني بغتصبها، لدرجة إنها قعدت تعيط ساعة وماخلتنيش أقربلها تاني، وبدأ الصراع بيني وبينها وكإني دكتور نفساني مش دكتور جراح، وحاولت وبدأت أعمل المستحيل وكإني بربيها من جديد، بس تقول إيه، العادات والتقاليد الزيادة اللي مش صح خلتها أدمنت كلام أهلها وبقى صعب جدًّا أغيرها، ودي كانت غلطتي، ماتعرفتش عليها كويس واقتنعت بكلام أبويا ووافقته على أوامره، وكمان مافيش خطوبة ولا كلام بيني وبينها، يعني ماعرفتهاش كويس وإلا كنت رفضت مهما كان، وبقت حياتي مملة كئيبة وكإني مش متجوز أصلًا، وفي يوم حاولت معاها تاني، واتعصبت عليها وضربتها، وكان اليوم ده عندي عملية أقل دكتور خبرة كان هيعملها، بس إيه، التفكير بعد الخناقة خلاني مش في وعيي، وعملت العملية وأخطأت خطأ جسيم أدى لوفاة المريض، وكان جزائي الحبس سنة واتشطب اسمي من عضوية النقابة، يعني كل المجهود اللي فات وشقى عمري ضاع.

وطلقتها، وكل ده عشان ماكنتش بفكر بعقلي، وكنت بسمع الكلام من غير ما أفكر، حتى هيا كمان غصب عنها، لإنها كانت منقادة تحت تأثير أهلها، وتفكيرهم الخطأ، إحنا وصلنا لفين دلوقتي؟ أنا اتخنقت من عربية الترحيلات دي»

فيرد آخر:

- «يعني انت فاكر إننا رايحين شرم الشيخ ولا مارينا؟ ماهو برضه رايحين صندوق بس كبير شوية، عشان كده أنا بقى كل ما أطلع من السجن وأتعامل مع الناس اللي برا اللي زي أبوك ومراتك وناس تانية كتير أقول السجن أحسن بكتير، لا بفكر في واحدة ست ولا مسئولية، ولا أكل ولا شرب، عملت كل حاجة غلط؛ ما أنا طلعت من الدنيا مالقيتش حد يقولي الصح والغلط، أبويا ساب أمي واتجوز غيرها، وأمي نفس الحكاية، وسابوني مع إخواتي الصغيرين لا تعليم ولا مهنة ولا عم ولا خال، ولا حتى الحكومة عاملة لينا أي رعاية،

وبيقولوا علينا عيال متسولة، عايزين إيه من عيال في الشارع، يكونوا مؤدبين؟ طبعًا لأ، لمين هنبقى كويسين، أدب وأخلاق»
فيرد عليه آخر:
- «ولو حتى في أسرة ممكن برضه تلاقي نفسك في السجن، ما أنا ليا بيت وزوجة وأولاد بس إيه، ماستحملِتش تعيش عيشة صعبة، ماهو من الأول ماكانش في حب دافع يخليها تستحمل، جوازة كده كانت طمعانة فيا لما كنت واقف على رجلي ومعايا فلوس كتير، ما أنا كنت تاجر كبير، ولما ظروف البلد اتغيرت وقعت زي أي حد، بس فين الأصيلة اللي تصون العشرة والحب اللي يكون دافع للتحمل، وقعدت كام شهر في مشاجرات كتير كل يوم تقريبًا، وفي يوم رحت البيت مالقيتش العفش، ساعدها أخوها؛ ماهو كان مقويها عليا من زمان، وبلغت عني ودبروا مؤامرة هيا وأخوها، ماهي لا ليها أب ولا أم، أبوها وأمها متوفيين واللي مالوش كبير بيضيع، ولقيت نفسي لابس كام قضية تبديد عفش وقضية خلع وقضية ضرب، عملتلي محضر بإني ضربتها، اتغظت ورحت البيت عندهم واتخانقت مع أخوها، وقالي طلقها أحسنلك وهجوزها لأحسن منك، وساعتها عرفت الفولة؛ مجهزلها عريس مستريح وطبعًا هو ليه مصلحة معاه، واتلموا عليا وضربوني، الضرب وجعني أوي، لقيت جنبي إزازة كسرتها على دماغه، ولإنه واد رفيع كده مات في ساعتها، وطبعًا ماقدرتش أبرأ نفسي وإن ده دفاع عن النفس لإني أنا اللي رحتلهم لحد عندهم، وأديني معاكم أهوه، انتوا عارفين إحنا شعب عايز إعادة تدوير للأسر، الحكومة تعلم الأسر إزاي يربوا ولادهم. لإن مش كل أسرة تعرف تربي ولادها صح.
العربية وقفت ووصلنا»

النهاية

لا تيأس

مقدمة

إن مع العسر يسرًا، فلا تيأس من رحمة الله، لا بد وأن نكون على يقين بأن فرج الله قريب مهما ضاق الحال واشتدت بنا المصاعب؛ فالله لا ينسى عبده الذي خلقه وسعى في الأرض طالبًا الرزق الحلال. فتأكدوا يا بني البشر من أن بعد الضيق فرجًا كبيرًا، ويرزقكم من حيث لا تعلمون.

المؤلف

***

لقد اتخذ مجدي قرارًا بأن يسعى وراء ما يريده ويعتمد على نفسه ربما ينول ما يقصده، يرتدى زيه وحذاءه، وعزم النية.
يتجه من شارع إلى شارع ومن رصيف إلى آخر، يتحامل في كل مرة على نفسه ويتكئ على قدمه ويحاول نسيان الألم الذي يشعر به، واستسلم وخلع حذاءه وارتدى «شبشبًا» لم يكن معتاد ارتداءه، إلا إن الألم جعله يرضى بالأمر الواقع، فأصبحت قدماه لا تقويان على السير وقد تورمتا، يتقدم من إدارة توظيف في عمارة مدخلها محشود بالشبان، يقفون جميعًا صفًا لآخر الشارع، على وجوههم جميعًا التعب والإرهاق، نظراتهم تطلب جميعًا المساعدة وطلب العون، كل منهم يمسك بيده ورقة، ينظر مجدي إلى آخر الصف فلا يستطيع تحديد ملامح آخر من يقف بالصف، ولا يرى نهائيًّا أول الصف؛ فربما يكون في أول أو ثاني دور أو آخر دور، وفجأة يخرج من مدخل العمارة أحد الرجال وينادي فيهم وينبه قائلًا:
- «أي واحد مش معاه طلب وظيفة يروح يجيب طلب من ورا العمارة بعشرة جنيه، وعليه دمغة بخمسة جنية»
وبدأ يكرر على الموجودين نفس التنبيه، وإلا عندما يصل إلى الموظف المختص للتقديم سيقوم بإرجاعه مرة أخرى لإحضار الطلب ويقف الطابور من جديد.
ويسأل مجدى نفسه:
- «طلب بعشرة جنية ودمغة، ويا ترى كل دول هيشتغلوا؟ طبعًا لأ، تلاقي اللي هيشتغل موجود أصلًا، كل دول سبوبة وخلاص يعملولهم كام ألف، والكل متعشم إننا نلاقي حد عدل وعنده ضمير ومخلص في عمله، حتى لو عملت نفسي مش فاهم ولا واخد باللي والموضوع جد؛ فين فلوس الطلب والدمغة؟ الفلوس اللي معايا مش هتكفي»
يخرج من طيات ملابسه نقودًا وينظر فيها، وفي المقابل تأتي إحدى السيدات تطلب المساعدة وتستجدي الموجودين، تحمل على يدها طفلًا لم يتعد السنتين قائلةً:

- «حاجة للعيل اليتيم ده، ماعنديش غيره وعايز يعمل عملية في القلب، ساعدوني يا إخوانّا»
يعطيها مجدي خمس جنيهات وكذا غيره من الموجودين في الصف، قائلًا مجدي لنفسه:
- «أهي دي تستاهل، وأعمل خير عشان ربنا يقف جنبي»
ومن يوم لآخر يقف أمام لافتة شركة وعلى مدخلها يقف رجل أمن يتقدم إلى مجدي بملابسه الرثة وشعره المنكوش، على مظهره التعب والإرهاق، هزيل الجسد، يسأل مجدي الرجل:
- «لو سمحت، مافيش شغل هنا؟»
فيرد الرجل بابتسامة خفيفة مستنكرًا:
- «دول بيمشوا اللي شغالين هنا وبيقولوا مافيش فلوس والبلد واقفة، والمرتب بنقبضه على تلات مرات، ده إحنا على كف عفريت»
يرد مجدي مداعبًا الرجل مهونًا عليه بطرافة:
- «على كف عفريت، المهم على كف حد أي حد شايلكم، عفريت مش عفريت الباقي على اللي مش لاقي حد ولا حتى العفريت بيعملنا اعتبار»
يلتفت وإذا بالمرأة التي تشحذ بالطفل، يراها مجدي، وهذه المرة قد بدلت الطفل بطفل آخر بنفس السن تقريبًا، وتدير نفس الأسطوانة التي تنشدها من قبل، ينفر رجل الأمن عند اقترابها منه، وينظر إليها مجدي باستغراب بعدما رأى طفلًا آخر على يدها، وشك بالأمر.. تنظر المرأة إلى رجل الأمن وبغيظ ترميه بعبارات وألفاظ قبيحة قائلةً:
- «جاتك نيلة في شكلك»
ناظرة إلى مجدي بغيظ وتمضي في طريقها، يهز رجل الأمن رأسه مستغربًا وموجهًا حواره إلى مجدى:
- «شفت الشحاتين، ماتديهومش حاجة يشتموك ويمشوا»
يترك مجدي موقع الشركة ويسير في طريقه، حتى يصل إلى أحد الأفران، يدخل ويسأل عن عمل فيرد عليه الفران وكأن بردِّه يستبعده قائلًا:

- «انت بتعرف تعجن؟»
فيرد مجدي:
- «ولا بعرف أخبز»
يسأله الفران باستخفاف:
- «أومال عايز تشتغل إيه هنا؟»
يرد مجدي:
- «أشتغل أي حاجة.. أوزع العيش على العجلة»
ينظر الفران إلى مجدي من أسفل إلى أعلى ويرى قدميه المتهالكتين قائلًا:
- «عجلة، انت مش شايف رجلك عاملة إزاي؟ وبعدين إحنا لسة ممشيين واحد امبارح عشان مافيش فلوس، واللي عايز عيش ييجي ياخده، مش عايز بلاش»
يلتفت مجدي ليرى نفس الشحاذة وراءه؛ فيندهش ويفاجأ، تنظر إليه بعينين جاحظتين وقد بدلت الطفل بطفلة أكبر سنًّا، ترفع حاجبيها لمجدي وكأنها تنذره بألا يتحدث أو يحاورها بأي شيء، نظراتها تخيفه، فيسير باتجاهها معاكسًا لها، تتبعه بنظراتها وتبدأ في تشغيل أسطوانتها المعهودة، وفي اليوم التالي يبدأ مجدي مسيرة حياته التي ملَّها ويأس في أن يصل إلى عمل يرزق منه، ويتابع مسيرة شقائه المجانية دون مال إلى مكتب إحدى الشركات الخاصة، وأمام السكرتيرة التي تتأذى من مظهره وتجيب عليه قائلةً:
- «إحنا فعلًا عايزين فراش هنا في المكتب، وانت ممكن تنفع؛ بس ماتزعلش مني لازم تكون لابس جزمة ولبس لايق بالمكان عشان عندنا زوار كتير مش معقول...»
وتصمت قليلًا وتحاول أن تبسط له الأمر:
- «بص البس هدوم مناسبة وجزمة وتعال»
ينظر إليها مجدي بأسى ويشكرها على لطف حديثها، ويترك لها الألم والحزن بعد أن فاجأها بأنه صاحب مؤهلٍ عالٍ، جعلها في أشد الضيق ولكنها بلا حيلة.

وبدأ يسير مجدي ناظرًا على الفاترينات في الشوارع وأسعار الأحذية التي تبدأ من ١٥٠ جنيه إلى أعلى فاقدًا الأمل، يحدث نفسه:
- «أنا لو معايا فلوس من الأول خالص كنت قدمت في الوظيفة أم طلب أو كنت جبت جزمة، أو حتى عالجت رجلي، ده أنا مستخبي من الراجل صاحب الأوضة اللي بنام فيها، دي الجزمة كده أغلى مني بكتير، ماعييش حتى تمن الرباط بتاع الجزمة، وبقيت زي الشحاتين، وكلمة واحدة اللي بسمعها: «ربنا يسهلك، ربنا يسهلك» زي الشحاتين، بس شحاتين إيه دول أغنى مني بكتير أوي، كل يوم يعملوا لهم بيجي ألف جنيه، بس أنا راضي بحكم ربنا»
يجلس على أحد الأرصفة يتألم من قدمه والنوم يغلبه، فيركز إلى الحائط يستغرق في النوم، ويسير بجانبه المارة ناظرين إليه يتألمون على حاله، وإذا بسيدة عجوز تسير بجانبه وتعطيه مالًا بيده وتسير، ينتبه إلى ما بيده وباستغراب ينادي عليها فلا تنتبه له، فيسأل نفسه قائلًا:
- «سبحان الله، ربنا مابينساش حد، عشرين جنيه أهي تمن علبة كشري، أنا ماكلتش من الصبح»
أثناءها تراه الشحاذة من بعيد وتتقدم إليه في ضيق متذمرة ومشتدة غيظًا قائلة:
- «انت يا جدع انت، أنا كل ما أروح حتة ألاقيك فيها؟ المنطقة دي بتاعتي، روح اشحت في حتة تانية لاحسن أعلم عليك»
ينفعل مجدي وهو يحاول الوقوف على قدميه قائلًا:
- «يا ست انتي فاكرة إيه، هو أنا شحات زيك؟»
بعصبية وضيق ترد عليه الشحاذة:
- «شحات، هو انت تطول تبقى شحات، مالهم الشحاتين يا عينيا؟»
وبكل جرأة يرد عليها:
- «انتي مش شحاتة بس، انتي نصابة، بتشحتي بالعيال وأكيد دول مش عيالك سرقاهم، أنا بقى مش هسيبك، العيال دول لازم يروحوا لأهاليهم، انتي مش أمهم أبدًا»
بابتسامة سمجة وثقة:

- «وانت بقى اللي هتوديهم لأهاليهم يا عينيا»
يرد بانفعال:
- «هوديكي القسم»
تضحك مستهزئة:
- «بس لما تعرف تمشي الأول ابقى اتكلم يا عينيا، أنا اللي هوديك القسم وأقولهم مسكني من جسمي وكان عايز يتحرش بيا، وهوديك في داهية وهاندهلك أمين شرطة»
وإذ فجأة يتقدم إليهم أحد الأمناء في سن الخمسين من العمر، قائلًا لها:
- «وأنا بقى سمعتك يا ست هانم وجاي أنفذ الأمر»
يعلق مجدي:
- «والله ما عملت حاجة»
تضحك الشحاذة وكأنها انتصرت على مجدي، ولكن صدها الأمين قائلًا:
- «أنا بقى جاي آخدك على القسم؛ أنا سمعت كل حاجة، مش مكفيكي الشحاتة بالعيال المسروقة، كمان عايزة تودي الشاب في مصيبة؟ انجري قدامي، يا ريت يا بني كل الناس زيك يشوفوا الغلط ومايسكتوش عليه، ربنا يسهلك»
ويتركه الأمين ويغادر ماسكًا بالشحاذة ويقودها متجهًا إلى القسم.
يسير مجدي سعيدًا فرحًا وكأنه انتصر على الشر وفعل خيرًا، وبدأ يغني أغنية، لا يدرك أنه في الشارع وبجانب دار الأوبرا المصرية، وفي أحد الشوارع الجانبية سمعه أحد قائدي السيارات وبدأ يتبعه دون أن يراه مجدي أو ينتبه إليه، وبعد انتهاء مجدي من الأغنية ناداه الرجل وقد تعدى الخمسين من العمر، يرتدي بدلة أنيقة، وقور في مظهره:
- «لو سمحت يا كابتن، يا كابتن»
يقف مجدي ناظرًا إليه باستغراب، يكمل الرجل حواره:
- «انت صوتك حلو أوي، أنا سمعتك، أنا موسيقار كنت لسة خارج من دار الأوبرا وصوتك جذبني، انت ماحدش سمعك في أي مكان؟»

يبتسم مجدي ابتسامة عريضة، قائلًا:
- «أنا، أنا حد سمع صوتي؟ آه طبعًا، ناس كتير سمعت صوتي وأنا بقولهم «عندكم شغل ليا»، مين يا أستاذ هيسمع صوت واحد زيي ولا مين دلوقتي بيهتم بحد عشان يكتشفه ويقف جنبه في المجال ده؟ ده أنا مؤهل عالي بس زي ما حضرتك شايف»
يرد عليه الرجل وعلى وجهه ابتسامة:

- «اوعى تيأس؛ أنا ربنا بعتني ليك، تخيل أنا اتعطلت عطلة كبيرة جدًّا وكان المفروض أمشي من الأوبرا من ساعتين، بس ربنا عمل كده عشان أشوفك، ربنا مش بينسى حد، وانت عندك ثروة ربنا مديك صوت حلو وميزك على غيرك.. الناس مش بشكلها بل بأخلاقها ونفوسها، بكرة تيجيلي الاستديو وأنا هقدمك للناس وأعملك فيديو كليب وأغاني كتير، خد الفلوس دي اعتبرها عربون الشغل اللي بينا، وبكرة نكتب العقد.. تعال، تعال أوصلك»

النهاية

كنا سبعة

مقدمة

كنا سبعة، وكان الحمل كبيرًا على أمي بعد وفاة أبى، سبع بنات حمل ثقيل عندما يكون الأب والأم معًا على قيد الحياة؛ فما بالكم بوفاة الأب وتحمل الأم ما لا طاقة لها به، أموال كثيرة جدًّا فقط للمأكل والمشرب والملبس، فما بالكم بباقي الاحتياجات الضرورية والشخصية الهامة؛ فيكفي التعليم ومتطلباته من كتب ودروس ومصاريف، هل ستقوى الأم على كل ذلك بمعاش الأب الضعيف؟ هل سيتعلم الكل وسيتزوجن، أم أن هناك كوارث كثيرة تحدث، أم أن منهن سينحرف إلى طريق وعر، أم أن الأم ستضطر إلى... حتى تقوى على معيشتهم؟!

المؤلف

***

لم تكن الحياة رغدة ومستقرة، بل كانت حياة مجهدة ومتعبة إلى حد كبير، فأي رب أسرة يسعى إلى تربية أبنائه، فما بالكم لو كانوا سبع فتيات بأعمار مختلفة؟ جبل مرتفع وعوائق ومشكلات عويصة؛ فجلب المال من خندق ضيق في هذا الزمن من أصعب ما يكون وخاصةً لو كان حلالا، ووفاة الأب كانت الطامة الكبرى للجميع، لم يكن حزن الأم مديحة على حياة زوجها حزنًا مقارنًا بأي حزن، بل كان حزنًا مختلفًا، رفيق عمرها وصديقها وأخوها وزوجها، مزيج من الحب والعاطفة والإخلاص؛ فقليلًا ما تسمع أو تشاهد كل هذا مختلطًا، وأكثر ما اشتد بها حزنًا خلاف ذلك، هو تفكيرها الذي لم ينقطع وجعلها لا تنام وهي في سن الخمسين من العمر، كيف ستدير وتربي وتعيش وتصلح من هذه القبيلة من الفتيات في سنين مختلفة، وكما نرى فتربية الفتيات صعبة للغاية، وعلى الرغم من أن حزنها مختلف، كان حزنها منحصرًا في كيفية إدارة الأمور بعد العزاء، ورغم حبها لزوجها إلا إنها نسيته وهي في وقت العزاء؛ فمشكلتها في تربية فتياتها كانت أقوى من التفكير في زوجها، فالمعاش لم يكفِ، وقد تبخر عمله الخاص في المساء والذي كان مساعدًا لعمله في الحكومة.

أفواه مشكلتها الأولى سد جوعهم أو احتياجاتهم للعيش فقط، وكم تتبعهم من مشكلات أسرية ونفسية، وصراع بينهم، بين الحقد والغل والغرور والغيرة والحب، آخر محطات الترابط.. وكان حوارها الأول مع الفتيات محاضرة أولية بعد الوفاة بيوم، وكأنها تؤكد لنفسها أنها قادرة على أن تدير كل شيء، أو تحاول أن تهيئ لنفسها أنها قادرة وأن تكون بديلًا لزوجها وأن تكون محله؛ امرأة ورجل في آن واحد.

لم يكن الحمل ثقيلًا بسبب الوزن فقط، بل كان أثقل، حينما يكون فكرًا في البحث عن وسيلة، عن مخرج، عن طريق، وكل السبل موصدة، هذا يكون الحمل الأثقل، هو حلم الفكر واتخاذ القرار، وكان حلم السيدة مديحة حلمًا لا يستطيع رجل أن يحققه أو يتحمل توابعه، وهو حلم تربية سبع فتيات حتى الكبر، يتساووا جميعًا في الأخلاق والتربية والمؤهلات وفي فرص الزواج، مسئولية شاقة وجبل فوق عائق الأم، وإما أن يهدم أو يتم بناؤه من الأصل.

كلهن في التعليم، صفات مختلفة وطبيعة مختلفة، فيهن الطيب والحاقد والأناني، وهذا يرجع لكيفية تعامل الأم معهن بعد وفاة الأب، لم تستطع مديحة أن تحتويهم جميعًا، وذلك لأفكارهم المتضاربة كفتيات، لم تستطع، فتكفيها رعايتهن ومعيشتهن وخوفها عليهن كفتيات في حياة كلها غموض وأخطار، كل منهن تحاول أن تكون أفضل من الأخرى، وأن تكون القريبة من أمها وأن تحقق أمنياتها وآمالها في أقرب وقت من غيرها، وفوق كل شيء، وكانت محاولة الأم في إرضاء الجميع صعبة جدًّا؛ فكيف ترضي هذه وتترك تلك، وكلهم بناتها؟

ولكنها حاولت ولكن أخطأت في الطريقة، وأصبحت كل منهن على حدى في المعاملة، وتجمعاتهن كانت قليلة جدًّا رغم وجودهن في شقة واحدة، وكل أسرارهن مع الأم ولا تعلم الأخوات شيئًا عن بعضهن، إلا القليل. ولذا أصبحت النصيحة متفرقة بينهن، بل كل منهن تحافظ على نفسها وأمورها فقط، والخوف على بعضهن أصبح قليلًا، ومرت السنين وتخرجن جميعًا في المدارس والجامعات، ولم يعط الحظ الفرصة للوصول إلى الجامعة إلا لاثنتين فقط: الأولى والثالثة، وحصل الباقي على مؤهلات متوسطة؛ وذلك نظير الظروف الاجتماعية، وطموح البعض واكتفاء البعض بالمؤهل المتوسط.

شعرت الأولى وتدعى أحلام بأنها الأفضل، لأنها الأكبر ولحصولها على قسط من التعليم وأن الأخريات أقل علمًا، كانت ترى أن في دخولها الجامعة ربما تجد ضالتها في شاب ينتشلها من وجودها بين الصراع الداخلي مع أخواتها، فالكل يريد الاستحواذ على شيء يكون به الأفضل.

كانت مديحة تضع لهم ضوابط وقوانين صارمة في الذهاب إلى أي مكان، وكان المنزل عبارة عن قفص مغلق جعلهم جميعًا لا يعلمون إلا القليل عمَّا يحدث بالخارج، والتعامل مع الآخرين كان صعبا جدًّا؛ مما جعلهن شبه مريضات بالتوحد، وكان المنزل بالنسبة للفتيات هو السجن الحقيقي، ولا يوجد خلاص إلا الزواج، وتقدمت مديحة لسن المعاش وانتهت سلطها بالعمل الحكومي، وأخذت معاشها، وأصبحت في المنزل، ودائرة المشكلات للفتيات لم تنته، وجاءت الفرصة سانحة لأحلام وتزوجت صابر؛ فكانت حريصة كل الحرص على ألا ترجع إلى المنزل مرة أخرى، فكانت طوع أوامر صابر وتكيفت مع أوضاعه بدون أي حوار أو رأي، حتى أنجبت طفلين، وأملت مديحة في أن يكون صابر هو السند لباقي الفتيات بحكم أنه الرجل الوحيد بالعائلة وأكبرهم سنًّا ويكون على رأس قائمة أي مشكلة بينهن، وأن يتدخل في أي شيء يخصهن، ولم تشعر الفتيات بارتياح لهذا الأمر ولكنه أمر واقع مثل باقي الأمور، ولا جدال فيه.

ومن هنا كانت تتمنى باقي الفتيات أن يأتي عليهن الدور والنصيب في الزواج للخلاص من تحكمات الأم وقيدها لهن، ومن زوج أختهم صابر باعتباره متحكمًا في أمورهم الخاصة، رغم أنه لا يستطيع أن يدير عائلته، وقراراته كلها كانت سيئة في تربية بناته الاثنتين.

وجاء النصيب في زواج الثالثة بشاب في مركز مرموق، وطارت في الهواء وكأنها عصفور محبوس في قفص، لم تحبه ولكنه النصيب

وطوق النجاة، وكما فعلت الثالثة، كانت السابعة أصغرهن سنًّا، وتزوجت شابًّا أحبها، ومن هنا اشتعلت نار الغيرة في قلب وجسد الثانية، كيف؟ كيف تتزوج أختها الصغرى وهي لا تزال بين الجدران حبيسة برغم أنها الأجمل منهم جميعًا؟ وبدأت في البحث والترقب عن الأعمال والسحر لإفساد الخِطبة والزواج، حاولت كثيرًا، وقاومت الأخت الصغرى، ورغم أن الأم تعلم بما يحدث إلا أنها كانت متعاطفة مع الفتاة مدبرة الأعمال والسحر بحجة أنها لديها حالة نفسية، وخرجت عن الآداب العامة والأخلاقيات.

وتقربت من خطيب أختها بشيء من اللا معقولية واللا أخلاقية حتى تأخذه منها بنظراتها وبلمساتها، حتى كادت أن يصل الأمر إلى أشياء أخرى منافية للآداب، إلى أن سيطرت الأخت الصغرى وتدعى أمل على الوضع، وفرت هاربة بأعجوبة إلى شقة الزوجية وأحبطت كارثة كانت ستحدث بين أختها وبين خطيبها، لا نستطيع أن ننكر أن الأم أهملت، ولكن غصبًا عنها؛ فتربية سبع فتيات فوق طاقتها، وقد فعلت ما بوسعها أن يكنَّ الأفضل وهذا ما يتناسب مع المعيشة والظروف.

مرت السنين ولم تنجب الفتاة الثالثة، وبدأ تعيير أسرة زوجها لها، وأنها السبب ولا بد وأن تحاول الذهاب إلى طبيب، وأنها عقيم، واكتمل همها بمعايرة زوجها لها، وخاصة أنه يحب الأطفال، وحبه لبنات أختها جعل النار تشتعل في جسدها، حاولت بالعلاج ولم يسفر عن نتيجة، وقد أصبح من المستحيل أن تنجب، وأصبحت حالتها النفسية في أشد ضيق وألم.

ولكثرة ما هي فيه من ألم وهم، جعلها ذلك تذهب إلى إحدى دور الرعاية لتتبرع للأطفال الأيتام وتشبع رغبتها في التعايش معهم، وقد عرفها كل من بالدار بعطفها وحنانها على الأطفال وسد حاجاتهم من

مأكل وملبس وتبرعاتها الدائمة، وأصبحت وكأنها أم لهم وجزء من الموجودين بالدار، حيث كانت تقابلها مديرة الدار بكل الحب قائلةً:

- «والله يا مدام منى مش عارفين نقولك إيه على عطفك وتبرعاتك للدار»

فترد منى عليها قائلةً:

- «لا والله أنا اللي بشكركم على إنكم بتدوني مساحة أكسب ثواب وأعمل خير، أنا بعتبر الأطفال دول زي ولادي بالظبط»

وتدعو مديرة الدار لها بالخير وأن يحفظ الله لها أبناءها، ولم تدرِ أن منى تكذب عليها وأنها لم ولن تنجب أبدًا، وأن ضالتها فقط رؤية الأطفال.

ومرت الشهور ولم ينقطع السم في اللسان من أسرة زوج منى وتعييرها بأنها عاقر، وكذا اعتبرها زوجها أنها لا شيء في المنزل وكأنها خادمة تطبخ وتنظف فقط، ولا تمثل له شيئًا أنثويًّا، واشتدت حالتها النفسية سوءًا.

وعلى صعيد آخر، تستمر الأخت الثانية في ممارسة الأعمال والسحر حتى بعد أن تزوجت أختها وفرت من المنزل، صراع دام وقتًا طويلًا بين الأخوات، استسلم البعض منهن لحياته والأمر الواقع، وأصبح إعداد الطعام والتنظيف هدفهن في بداية اليوم وحتى نهايته، وتركن الأمر لصاحب الأمر، زواج أو بدون فلا يهم؛ فيكفي ما يرونه من ضغائن بين أخواتهن الأخريات، وبعد مشكلات عديدة بين منى وزوجها جاء اليوم الذي أفرح الجميع وأضفى سعادة على الكل وهو أن منى حامل، وتغيرت الأوضاع ومعاملة زوجها وعائلته لها، ومرت الشهور في سعادة، حتى اقتربت من الوضع، ولكنها لم تنس في كل هذا الوقت زيارة دار الرعاية والمعتاد أن تفعله من خير، بارك لها الجميع في الدار على حملها، ودعوا لها أن يرزقها الله بطفل

جميل، انتهت منى من زيارتها للدار وخرجت، وهي على مقربة من مدخل الدار سمع أمن الدار صوت طفل رضيع يصدر من حقيبة في يد منى، فتدخلوا، توترت وظهر على ملامحها الخوف، حتى اكتشفوا الأمر وهو أن بداخل الحقيبة طفل رضيع تخبئه؛ فاجتمع من بالدار وتم الاتصال بالشرطة في ذهول الجميع، فكيف فعلت منى هذا ولماذا؟ إنها سيدة محترمة وتملك المال، وما الهدف من سرقة طفل فلديها أطفال وهي حامل أيضًا، ولكن اتضح الأمر برمته وهو أن منى ليست حاملًا، وأنها افتعلت ذلك وقتًا طويلًا، وأقنعت الزوج بأن أوامر الطبيب ألا يلمسها نهائيًّا وهذا ضروري لصحة الجنين وحياتها، وهذا حتى لا يكتشف الأمر، واستمرت بما تفعله في زيارتها للدار من أجل فقط أن يثق بها من بالدار وتستطيع أن تخرج بطفل دون أن يعلم أحد أو يشك فيها، وهذا كله حتى تطفئ نيران جسدها وقلبها دائم الاشتعال، وهي ترى زوجها ينظر إليها بنظرة ضيق، وأسرته تلومها وكأنها السبب فيما هي عليه؛ فأرادت أن تضع حدًّا لذلك وتقنع الجميع بأنها حامل وتسرق طفلًا وتنسبه إلى نفسها في رواية أخرى تفتعلها حينها.

كان الأمر غريبًا بالنسبة للجميع، كادت أن تموت والدتها بعلمها ذلك، إلا إن أمها وزوج أختها تدخلا، وبالفعل تفاهم مع مديرة الدار وأن ما حدث ليس سرقة بالمعنى المفهوم ولكنه حالة نفسية، وأنها مريضة وأنه سيقوم برعايتها، فضلًا على أن تتنازل مديرة الدار، وانتهى الموضوع بالتراضي أيضًا مع السلطات، مع مراعاة حالة منى والعامل الإنساني، وبالفعل انتهى الموضوع في سرية، واعتبر الزوج أنه طرف وسبب فيما فعلته زوجته، لتكرار إهانتها أو معاملته السيئة له، ولذا أبعد أسرته عنها.

ورغم كل ذلك إلا إن الأخت الكبرى لم تتعظ ولا زالت مستمرة في أفعالها المشينة على الرغم من أنها تزوجت، ولكن الزيجة لم تكن على خاطرها أو ترغب فيها؛ بل كانت تريد الزواج بشاب مثل أختها الصغرى، واعتبرت زواجها برجل يكبرها سنًّا هو نصيبها المحتوم والذي لم ترض به، واستمر الغل والحقد في قلبها حتى وصل الحد لذهابها لأختها بحجة زيارتها ومراودة زوج أختها عن نفسه، لم تأبه بأنها تزوجت، ولكن الطبع يغلب التطبع، وما كان من الأخت الصغرى إلا الدهاء والذكاء في كثير من المرات وكانت أكثر منها تعقلًا، فليس العقل بالسن ولكن أشياء أخرى كثير يتجمل بها العقل عن السن والجمال.

الغيرة والحقد كفيلان للإنسان بالقضاء على نفسه وغيره، فكلما رأت أنها الأجمل وتزوجت رجلًا مسنًّا ولن تنجب هي الأخرى لكبر سنها، اشتدت غيظًا، وسلط عليها الشيطان، ورغم أن باقي الفتيات صغار إلا إنهم امتثلوا للأمر الواقع في زيجاتهم العادية بعد وفاة أمهم، وابتعدت الصغرى بأبنائها عن أختها الكبرى فلا يوجد اتصال أو رؤية بالسنوات، واكتفت منى بما حدث لها واستسلمت للقدر والنصيب هي وزوجها، ولم يكن في النهاية إلا أختا واحدة لم تتزوج وترفض الزواج، وأصبحت وحيدة تعيش على معاش والدها، وبالنهاية لم تر الأخوات بعضهن بالسنوات، ولم تعلم إحداهن عن الأخرى شيئًا نهائيًّا، حتى أبنائهن، لم تر إحداهن أبناء الأخرى.

ومن هنا نستطيع أن ندرك ونهتم بتربية أبنائنا، ولهذا نقول إن الأم المثالية ليست من تربي الأبناء بعيدًا عن الآباء فقط، ولكن التربية في حد ذاتها، الترابط الأسري، حب الأبناء لبعضهم، العزوة والحنان بين الجميع، ليس كل متعلم قادر على تربية أبنائه؛ بل كل واعٍ مدرك

لمجريات الأمور وصاحب خبرة في الحياة، هو القادر على تكوين أسرة.
وليس المال وحده كفيلًا بتربية سليمة، بل التربية السليمة تتبع قيمًا وترابطًا وانتماءً، سواءً كان الأطفال اثنين فقط أم سبعة.

النهاية

الفهرس